الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – بالمسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم: .....

خطاب القيم في مدونة الأدب في الغرب الإسلامي خلال القرن (6/7هـ-12/13م)

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر أكاديمي

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبة

- وهيبة زرواق

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
اسم ولقب الأستاذ	المؤسسة الجامعية	الصفة
د. الطاهر بونابي	جامعة محمد بوضياف–المسيلة	رئيسًا
د. خديجة ثلجوم	جامعة محمد بوضياف–المسيلة	مشرفًا ومقررًا
د. لخضر بولطيف	جامعة محمد بوضياف–المسيلة	ممتحنًا

السنة الجامعية: 2020/2019

الإهـــــــداء

إلى الســـاعين للنهـــوض بـــالقيم أرقاهـــا

إلى الباحثين الناشـــدين الحداثـــة والتميـــز

إلـــى حمـــلة لـــــــواء جهـــاد العلـــم

إلى كل من يحمل بريقًا ليضيء به دروب الباحثين

إلى كل من .... ساعد .... نصح.... وجـــه وأرشد... ودعم.... ولو بكلمة.

الشكر والعرفان

قال الله تعالى

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة النمل: الآية 19]

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه الذي منَّ علينا بنعمة التوفيق في إتمام هذا العمل

أتوجه بعظيم الشكر وجزيل الامتنان إلى أستاذتي الفاضلة **خديجة ثلجوم** التي كانت نموذجًا مثاليًا لأرقى القيم في أداء المسؤولية على أكمل وجه، فسخرت نفسها للاهتمام والمتابعة والتشجيع والدعم والتوجيه فلكِ مني كل التقدير والثناء والفخر...

وأتقدم بعظيم الشكر والعرفان إلى من أضاء دروب الباحثين بتوجيهه وإرشاده ونصحه.... فصدق بوعده وأوفى بعهده بالمتابعة وتصحيح المسار فلكم منا كل الشكر والتقدير والاحترام والفخر أستاذي الفاضل **لخضر بولطيف.**

والشكر موصول إلى كل الداعمين والمساندين للأبحاث العلمية.

المـــقدمـــة

1- أهمية الموضوع وإشكالية:

إن منظومة القيم تمثل هرمًا في تاريخ الشعوب الإسلامية، قاعدته ماضيها الذي أرست دعائمه المرجعية الدينية، وحاضرها النهج القويم والسلوك الراقي الذي ساير تطور النظم الحضارية، أما قمة الهرم فتمثل قمة الصلاح والتطور الذي تحكمه معايير المبادئ الإنسانية.

قال الشاعر:

إِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاَقُ مَا بَقِيَت فَإن هُم ذَهَبَت أَخْلاَقُهُم ذَهَبُوا

فالقيم هي السر وراء تشيد الحضارات وازدهارها، والرؤية التاريخية تفرض استقاء ملامح النسق القيمي من خبرات الماضي، ولذلك سلط الضوء على ملامح القيم السائدة في الغرب الإسلامي خلال القرنين 6-7هـ وهي فترة زاخرة بمحطات انتصار ونجاح وإصلاح وتسامح ديني.

وبما أن الكتب التاريخية المتخصصة لم تعد كافية لتغطية النواحي الاجتماعية وجب فتح المجال أوسع بالاعتماد على المدونة الأدبية الوسيطية الكفيلة بسد ثغرات الجانب النفسي للشخصيات والأحداث التاريخية ورصد القيم بأشكالها السلوكية والأخلاقية والفكرية، وأبعادها النفسية المتباينة، وذلك من خلال الوقوف على مواطن الإشراقات خدمة للتاريخ.

ولما تكلل الخطاب الأدبي بمصداقية النزعة الإنسانية للشعراء فقد أضاء عديد الجوانب في تاريخ مجتمع الغرب الإسلامي لا سيما فيما تعلق بالمنظومات القيمية المؤطرة للفكر والناظمة للسلوك، وهنا تكمن أهمية الموضوع الذي باشرناه انطلاقا من إشكالية رئيسية مفادها: **كيف تمكنت المدونة الأدبية الوسيطية من إثراء جانب القيم لمجتمع الغرب الإسلامي خلال القرنين 6 و7هـ /12و13م؟** وهو ما أفضى إلى ظهور عدة إشكالات أهمها:

– ما هو التعريف اللغوي والاصطلاحي للقيم؟

– فيما تمثلت أهم القيم الروحية، الاجتماعية والجسمانية التي رصدتها المدونة الأدبية الوسيطية للغرب الإسلامي خلال القرنين 6-7هـ؟

وقد كان اختيارنا لهذا الموضوع: "**خطاب القيم في مدونة الأدب للغرب الإسلامي خلال القرنين 7/6هـ**"، نابع من أسباب موضوعية وأخرى ذاتية:

أما الأسباب الموضوعية فتتمثل في:

– الرد على الأصداء الراهنة التي تقلل من أهمية المدونة الأدبية في سياق الأبحاث التاريخية وذلك بحجة صعوبة معانيها وألفاظها الوسيطية، وقلة مصداقيتها خاصة في مواطن المدح، بتوسيع استغلالها في الدراسات التاريخية.

– وكذا إثراء للأبحاث التاريخية التي تشتغل على المقاربة الأدبية للمنظومات القيمية وأسباب ذاتية تتمثل في:

– ميولي ورغبتي في دراسة المنظومات القيمية وتأكيد تراثها التاريخي بصوت الأديب الذي يروق النفس ويطرب السمع.

– والمساهمة في تصحيح مسار القيم التي أخال أنها بدأت تتزعزع في مجتمعنا.

الدراسات السابقة:

الدراسات التي اعتمدتها لتقاطعها مع موضوعنا في بعض النقاط قليلة، منها كتاب **القيم الخلقية في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين** للدكتورة سلمى سلمان من القاهرة، وكتاب **الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف** للدكتور يوسف شحدة الكحلوت الفلسطيني وقد كانت هذه الدراسات متقاربة مع موضوعنا في تحليل المادة الأدبية واستفدنا من ذلك كثيرًا.

2- المنهج والرؤية:

لقد حفزنا التصور الجديد لممارسة البحث التاريخي في اتجاه مقاربة المنظومات المدونات... التي تكشف عن القيم المعلنة المؤطرة للسلوك والفكر الذي أفادنا به الأستاذ **بولطيف** وساعدنا في توضيح وتحديد ملمح المنظومات القيمية، وعلى هذا الأساس اعتمدنا المنهج التاريخي، من خلال توظيف عدة آليات فرضت نفسها وهي:

- **آلية الإستقراء:** في تتبع وقراءة النصوص الأدبية على تنوعها بين الشعر والنثر والزجل والموشحات في المدونة الوسيطية.

- **آلية الوصف:** في وصف النظم القيمية السائدة في مجتمع الغرب الإسلامي من خلال الوقوف على مناسبات النص الأدبي للإلمام بكل ما يحيط بالموضوع.

- **آلية التحليل:** من خلال التعمق في النصوص الأدبية واستجلاء دلالاتها الموضوعية، وأبعادها الروحية والسلوكية.

هذا ولا ننكر أنها واجهتنا العديد من الصعوبات الموضوعية، التي ذُللت بفضل الله، وجهود الأساتذة الذين سخروا كل وقتهم وجهدهم لمتابعة الأبحاث العلمية وأولى هذه الصعوبات انفتاح المدونة الأدبية الوسيطية على المنظومة القيمية وكلها مهمة فوقفنا على الأهم منها، وعندما باشرنا العمل الموضوع واجهتنا صعوبة كبيرة في التعامل مع المدونة الأدبية الوسيطية وكذلك صعوبة تطويعها مع النص الديني وهو وما أخذ مني جهدا كبيرا ووقتا مضاعفا، فالتعامل مع هذه المدونة يقتضي الدراية والتمكن والتحكم في كل آليتها.

3- هيكل الموضوع:

لدراسة هذا الموضوع اتبعنا خطة حددت لنا المسار الذي انتهى برؤية واضحة المعالم والأهداف، تتضمن مقدمة، فصل تمهيدي، وثلاث فصول ثم خاتمة.

الفصل التمهيدي: الذي خصصناه لـ: "**القيم بين الأدب والتاريخ**" فقمنا بالتعريف اللغوي والاصطلاحي للقيم، كمدخل منهجي وذلك من خلال تتبع وروده في أشهر معاجم اللغة، وتعريفه الاصطلاحي في شتى العلوم التي كشفت عن أهميته في كل مجالات الحياة، ثم تحدثنا عن شيء غاية في الأهمية وهو أدب القيم رافد الكتابة التاريخية، فوضحنا أهمية المدونة الأدبية الوسيطية عموما في الكتابة التاريخية، ثم عن أهمية المدونة الأدبية الوسيطية في إضاءة جانب المنظومات القيمية.

ثم جاء **الفصل الأول:** بعنوان "**قيم التسامي الروحي**" المتمثلة في الحياء والتواضع الصدق والنزاهة، الصبر والثبات، الوفاء والإخلاص..... وهي القيم المؤطرة للفكر.

أما **الفصل الثاني:** فقد أطلعنا على"**قيم التواصل الاجتماعي**" التي تضمنت قيم الرفق والرأفة، العدل والإنصاف، البر والإحسان، الإنجاد والإجارة.... وهي القيم الناظمة للسلوك.

والفصل الثالث: الذي يثمن ويكمل النسق القيمي فكريا وسلوكيا، وقد جاء بعنوان "**قيم الكمال الجسمي**" والتي تمثلت في قيم الأناقة والجمال، التطهر والتطيب الهيبة والوقار، البأس والشجاعة، البلاغة والفصاحة، والبشر والتبسم.

5- الدراسة النقدية:

لقد وسعت الحقبة التاريخية محل الدراسة قرنين من تاريخ الغرب الإسلامي شهدت خلالها ازدهار علمي وأدبي نتيجة تشجيع الحكام لمختلف العلوم، كما وجدنا أن المدونة الأدبية الوسيطية بحر علمي مضاف الى الدراسات التاريخية، فكانت مضامينها محل اهتمامنا بالدرجة الأولى، وأثبتنا المرجعية الدينية للقيم بالرجوع إلى القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

- **المدونة الأدبية:** وذلك من خلال الدواوين التي أفادتنا في استخراج القيم السائدة في الغرب الإسلامي، وهي كثيرة نذكر منها: ديوان الأمير أبو الربيع

- (ت 604هـ/1208م)، وأبو العباس الجراوي (ت 609 هـ/1212م) في الحماسة المغربية الجزء الأول وكذلك ديوان ابن الأبار (ت 658هـ/1260م) الذي خصص أغلبه في مدح السلطان الحفصي أبي زكريا الحفصي، وقد أفادتنا هذه الدواوين في إعطاء صورة واضحة لمنظومة القيم السائدة في مجتمع الغرب الإسلامي خلال القرنين 6-7هـ.

- **المصادر التاريخية:** في مقدمتها نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري والمن بالإمامة لعبد الملك بن صاحب الصلاة وغيرها من الكتب التي أفادتنا في التأكيد على صحة الأخبار.

وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر وجميل والعرفان إلى أستاذتي الفاضلة ومشرفتي **خديجة ثلجوم** التي حظيتُ منها بمنزلة الأخت مرافقة تشجيعًا ونصحًا ومتابعةً.

وخالص الشكر وعظيم الامتنان موصول إلى الأستاذ **بولطيف** الذي حرص على متابعتنا بخطوات ثابتة منذ اختيار الموضوع وإلى غاية خاتمته.

الفصل التمهيدي:

القيم بين الأدب والتاريخ

أولاً- مفهوم القيم (في اللغة والاصطلاح)

ثانيًا- أدب القيم رافد الكتابة التاريخيـــة

أولاً- مفهوم القيم (في اللغة والاصطلاح)

1- القيم في اللغة:

- ورد في **القاموس المحيط:**

عن القيمة بكسر القاف أنها واحدة القيم وماله قيمة: إذا لم يَدُم على شيئ وقوَّمتُ السلعة واستعملته: ثمنته، واستقام اعتدل. وقومته: عدَّلته، فهو قديم ومستقيم[1].

- وفي **مختار الصحاح:**

(قوَّم) الشيء (تقويما) فهو (قَوِيمٌ) أي مستقيم. وقوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ إنما أنَّثه لأنه أراد المِلةَ الحنفية. (القَوامُ) بالفتح العدلُ قال تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ وقوام الرجل قامته وحسن طوله و(قوامُ) الأمر بالكسر نظامهُ وعمادهُ. يقالُ قِوامُ أهلِ بَيته و(قيامُ) أهل بيته وهو الذي يقيمُ شأنهم ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾ وقِوام الأمر أيضا ملاكه الذي يقوم به وقد يُفتحُ. و(قَمَةُ) الإنسان قدَّه وجَمعُهَا (قاماتُ) و(قَيمُ) مثل تارات وتِيَرٍ[2].

- وجاء **في المعجم الوسيط:**

- القيمة: قيمة الشيء: قدره. وقيمة المتاع: ثمنه ومنه الإنسان طوله جمعها قيَم. ويقال: ما لفلان قيمة: ماله ثبات ودوام على الأمر[3].

- وفي **المصباح المنير للفيومي**

- القيمةُ: الثمن الذي يُقوم به المتاع، أي يقوم مقامه، وجمعها قِيم، مثل سدرة وسِدَر، وشيء قِيميٌ: نسبة إلى القيمة على لفظها، لأنه لا وصف له في أصلِ الخِلقة حتى ينسبَ إليه، بخلافِ مالَهُ وَصفُ مضبوط به، كالحبوُب والحيوان المعتدل فإنهُ يُنسب إلى صورته وشكله، فيقال: مِثليٌ أي: له مِثلُ، شكلا وصورة من أصل الخلقة وقامَ يقومُ

---

[1]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817هـ)، القاموس المحيط، إشراف، محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ص1152.

[2]- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت 660هـ)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، 1986، ص233.

[3]- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، ص768.

قوماً وقِياما: انتصب، واسلم الموضع: المقامُ بالفتح والقومَةُ المرة وأقمته إقامته إقامة واسم المُقام بالضم، وأقامَ بالموضع إقامة: اتخذه وطنا[1].

- أما **في لسان العرب:**

- القيمُ: مصدر كالصَغَر والكِبَر إلا أنه لم قِوَم مثل قوله: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ لأن قِيما من قولك قام قِيَما، وقام كان في الأصل قوُمَ، فصار قام فاعتل قِيمَ وأما حِول فهو على أنه جار على غير فِعْل، وقال الزجاج: قِيما مصدر كالصغر والكبر، وكذلك دين قَوِيم وقِوام.

ويقال: رمح قويم وقوام قوِيمُ أي مستقيم، وأنشد ابن بري لكعب بن زهير:

فَهُمْ ضَرَبُوكم حِينَ جُرْتم عن الهدى بأسيافهم ن حتى استقمتم على القِيمْ

وقال حسان:

وأَشهَدُ أَنَّكَ، عِنْدَ المَلِيـــــــــ كِ، أُرسلْتَ حَقاً بدينٍ قِيمِ

قال: إلا أن القَيم مصدر بمعنى الاستقامة، والحديث:" قُل آمَنْتُ بِالله ثَمَّ اِسْتَقِم" فُسر على وجهين قيل: هو الاستقامة على الطاعة، قيل هو ترك الشَرك، أبو زيد: أَقَمتَ الشيء وقومته فقام، قال والاستقامة اعتدال الشيء واستواؤه[2].

ويتضح من التعريفات اللغوية السابقة للقيم أنها ركزت على معاني ثابتة في مقدمتها الاستقامة والاعتدال، ثم القدر والثمن للمتاع والسلع.

2- القيم في الاصطلاح:

إن دراسة القيم حظيت باهتمام كبير من قبل الباحثين، الذين تعددت منطلقاتهم النظرية للقيم، وذلك بسبب اختلاف اتجهاتهم العلمية، وهو ما أدى على ظهور مفاهيم متباينة وفق ما يقتضيه كل تخصص على حِدا، ولعل فيما سنذكر من تعريفات يفضي إلى توجيهنا نحو المفهوم الصائب والشامل:

---

[1]- أحمد بن محمد الفيومي المقري (ت 770ه)، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص520.

[2]- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت 711ه)، لسان العرب، تصحيح، أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق لعبيدي، ط 3، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1999، ج 11، (ص35، 360).

- ففي **المنظور الإسلامي:**

عُرفت القيم من قبل مجموعة باحثين مختصين في الثقافة الإسلامية بأنها: «القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية، وتختلف بها عن الحياة الحيوانية كما تختلف الحضارات بحسب تصورها لها مثل الحق، الإحسان، الحرية، ...»[1].

وأضاف خالد بن عبد الله الرومي، من خلال دراسته للقيم الخلقية المنظور السلفي بأنها: «المعيار الذي ينظر الإنسان من خلاله إلى جميع شؤون حياته أو هي الميزان الذي توزن به الأعمال البشرية فيتحدد من خلالها ما هو مرغوب فيه، وما هو مرغوب عنه فيتميز بها المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات الحيوانية التي لا تحكمها وتُنظم شؤونها القيم والمبادئ والمثل المستمدة من شرع الله تعالى القويم»[2].

- وفي **المنظور التربوي:**

- ظهر اتفاق مجموعة باحثين في علوم التربية أن القيم تعرف على أنها: «مجموعة من المبادئ التي تدعو إلى الفضيلة، والتحلي بمكارم الأخلاق وتمثل لهم معيارا يحكمون به سلوكهم وسائر تصرفاتهم»[3].

- وأضافت أحلام السلمي في ذات السياق أن القيم: «هي المبادئ المعتقدات الأساسية والمعايير المرشدة لسلوك الفرد، والتي تساعده على تقويم معتقداته وأفعاله وصولا إلى المثل العليا والسمو الخلقي للذات والمجتمع»[4].

---

[1]- عبد الله بن إبراهيم الطريقي وآخرون، الثقافة الإسلامية تخصصا- مادة - وقسما علميا، دراسة تنظيرية وتعريفية موجزة، ط1، كلية الشريعة، الرياض، 1417، ص14.

[2]- خالد بن عبد الله الرومي، «القيم الخلقية في المنظور السلفي» بحث تكميلي لمتطلبات نيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1433، ص16.

[3]- منال محمد آل عثمان وآخران، «دراسة تحليلية للقيم في أبحاث الإدارة التربوية الإسلامية»، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، ع10، منشورات الملك سعود، الرياض، 2017، ص161.

[4]- أحلام عتيق مغلي السلمي، «مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقها السلوكية من منظور إسلامي»، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، ع2، منشورات جامعة جدة، 2019، ص82.

- أما **المنظور الاجتماعي:**

فقد اتفقت مجموعة من الباحثين في العلوم الاجتماعية، على تعريف القيم بأنها «عبارة عن معايير تهدف إلى إصدار حكم يوجه سلوك الفرد بما هو مرغوب فيه اجتماعيا»[1].

- وترى باحثة من الجامعة الأردنية أن القيم الاجتماعية هي: «معايير مرجعية مستمدة من الواقع الديني والاجتماعي، موجهة للفرد والمجتمع، للتمييز بين ما هو مقبول وغير مقبول من التصرفات الأفكار والمواقف»[2].

- **المنظور النفسي:**

- دراسة القيم في علم النفس ركزت على القيم الفردية التي عُرِّفت أنها: «عبارة عن تلك المعتقدات والتفصيلات والمفاهيم المجردة التي يحملها الفرد للأشياء والمعاني وأوجه النشاط المختلفة، والتي تعمل على توجيه رغباته واتجاهاته نحوها حيث تساعده في تحديد السلوكيات ما هو مقبول وما هو مرفوض، ما هو صائب وما هو خاطئ وتتصف بالثبات النسبي»[3].

- والقيم **من المنظور الاقتصادي:**

- ولما كان الاقتصاد الإسلامي لابد له أن يتضمن قيما فقد حددها الدكتور يوسف القرضاوي في دراسته للقيم والأخلاق في الاقتصاد والمعاملات الإسلامية بـ: «أربع قيم هي الربانية، الأخلاقية، والإنسانية، والوسطية هذه القيم لها فروع وثمارها وآثارها في كل جوانب الاقتصاد والمعاملات المالية والإسلامية: إنتاجا واستهلاكا وتداولا وتوزيعا فكلها مصبوغة بهذه القيم، معبرة عنها، مؤكدة لها»[4].

---

[1]- عبد الرحمان بن محمد الشعوان، «القيم وطرق تدريسها في الدراسات الاجتماعية»، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، ع9، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، 1997، ص156.

[2]- سارة رطيان الشراري، «القيم الاجتماعية المتضمنة في كتب التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية ودرجة اكتساب الطلبة لها من وجهة نظرهم»، رسالة مقدمة للاستكمال متطلبات درجة الماجستير في المناهج العامة، جامعة الأردن، 2015، ص23.

[3]- سفيان بوعطيط، القيم الشخصية في ظل التغيير الاجتماعي وعلاقتها بالتوفيق المهني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم النفس العمل والتنظيم، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2012، ص68.

[4]- يوسف القرضاوي، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، ط1، مكتبة وهبَة، القاهرة، 1995، ص27.

– وأضاف الدكتور صلاح الدين بسيوني في تعريفه للقيم الاقتصادية: «أنها قيم من إنتاج البشرية، لإشباع رغباتها الأولية، تتميز بطبعتها التجاري النفعي، الذي يساعد على انتقالها من يد إلى أخرى ومن هذا كان من حق الإنسان امتلاكها والتمتع بها، وهي قيم ذاتية نسبية، ينشدها الناس كوسائل لغايات أعلى هي القيم الإنسانية المتمثلة في المثل العليا التي لا تباع ولا تشرى ويضحى الإنسان في سبيلها بروحه ودمه»[1].

– وهي في **المنظور السياسي:**

تؤكد على العلاقة بين الرئيس والمرؤوسين والتي تحكمها قيم سياسية عرفها إسماعيل عبد الفتاح في كتابه القيم السياسية في الإسلام أنها: «مثليات سياسية تغلف الإطار الفكري للإنسان ككائن سياسي يسعى للسلطة ويتعامل مع غيره من الناس على قدم المساواة» وأشار إلى قيمة العدالة التي يجب أن يسعى النظام السياسي إلى تحقيقها في عالمنا المعاصر[2].

– و**المنظور الفلسفي للقيم:**

يطلق من الناحية الموضعية للشيء على ما يتميز به من صفات تجعله مستحقا للتقدير بذاته كالحق، الخير والجمال، كانت قيمته مطلقة وإن كان مستحقا لتقدير من أجل غرض معين كالوثائق التاريخية .

– والقيم **في علم الأخلاق:** تطلق على ما يدل عليه لفظ الخير، وقيمة الفعل تكون تابعة لما يتضمنه من خيرية[3].

– **المنظور التاريخي للقيم:**

المهتمون بالدراسات التاريخية وتطور النظم الحضارية أن يرون أن القيم هي: «السلوك الخلقي الذي يميز جماعة خلال فترة زمنية معينة»[4].

---

[1]– صلاح الدين بسيوني رسلان، القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص28.

[2]– إسماعيل عبد الفتاح، القيم السياسية في الإسلام، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2001، (ص34،43).

[3]– جمال صليبا، المعجم الفلسفي، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975، ج2، ص213.

[4]– خالد الصمدي، القيم الإسلامية في المنظومة التربوية دراسية القيم الإسلامية وآليات تعزيزها، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، 2008، ص17.

- والقيم **التاريخية في منظورها الأدبي:**

نوهت إليها الدكتورة سلمى سلمان من خلال دراستها للقيم الخلقية في الشعر الأندلسي فقالت أنها: «مقاييس اجتماعية خُلقية تقدرها الحضارات التي ينتمي إليها أفراد المجتمع وفقا لتقاليده واحتياجاته وأهدافه في الحياة»[1].

ونستخلص مما سبق أن القيم تعرف انطلاقا من بعدها الأخلاقي وبالنظر إلى جوانبها الاجتماعية، النفسية، الاقتصادية، السياسية، الفلسفية والتاريخية أنها: «محصلة القيم التي يكتسبها الفرد من مجتمعه، انطلاقا من مرجعيته الدينية الخالصة وبها يستقيم سلوك الفرد وتتحقق مكانته الحضارية في المجتمع. صلة القيم التي يكتسبها الفرد من مجتمعه، انطلاقا من المرجعية الدينية الخالصة وبها تستقيم سلوك الفرد، ويتحقق مكانته السياسية و الاقتصادية والحضارية في المجتمع».

ثانيًا- أدب القيم رافد للكتابة التاريخية

قال ابن خلدون "إن فن التاريخ محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت، يفضيان بصاحبهما إلى الحق..."[2] ومن تلك المعارف المعرفة الأدبية التي يحتاج إليها المؤرخ في عدة مواقف منها:

- الكتابة الفنية سواء كان ذلك من خلال صراحة الإفادة بالاستشهاد بالشعر أو رصد الأبيات في تأكيد الحادثة التاريخية.

- وعندما يتجاوز المؤرخ درجة النقل فإنه يستعين بمكتسباته الأدبية في مرحلة التدقيق والتأمل لما هو بصدد تسجيله، فالصياغة التاريخية من خلال حديث نثري دقيق تزيد من تراء العرض وتجعله أكثر تأثيرا، والمزاوجة بين النمطين تتيح للمؤرخ الجمع بين ضربين من ضروب الإبداع[3].

- ويعتبر الأدب رافد مهم في الكتابة التاريخية وتظهر أهميته من خلال: المادة الشعرية التي تسد ثغرة الجانب النفسي للحادثة التاريخية، ذلك أن الشاعر ينظر إليها

---

[1]- سلمى سلمان علي، القيم الخلقية في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2007، ص22.

[2]- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون (ت 808هـ)، المقدمة، تح، عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار يعرب، دمشق، 2004، ج1، ص92.

[3]- عبد الله التطاوي، الشاعر مؤرخ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص77.

بقلبه ووجدانه ويغوص في جزيئاتها وبفتح تأويلات معقولة ومبررة ويشير إلى أبعادها الاجتماعية والنفسية وهي الأشياء التي قد تنعدم في الوثائق التاريخية، ومن أمثلة ذلك.

معركة العقاب والتي كان من نتائجها انهيار الجدار الموحدي بالأندلس، ولئن اهتمت المادة التاريخية بالجانب المادي للمعركة، فقد اهتمت المادة الشعرية بالجانب النفسي لها، فعبر أحد شعراء إشبيلية من القرن 7 /13 وهو أبو إسحاق إبراهيم بن الدباغ، عن هذا الحدث مبرزا أبعاده الخطرة، وعمق المأساة التي بدأ يشعر بها كل أندلسي فقال:

كَأَنّك قد وَقَفْتَ لَدَى الحِسَابِ وَقَائلَة أَرَاكَ تُطِيلُ فِكْرَا
غَدا سببا لِمَعْرَكَةِ العقابِ فَقُلْتُ لَهَا أُفَكِّرُ فِي عِقَاب
وَقَدْ دخل البَلا مِنْ كُلِ باب فَمَا فِي أَرْضٍ أَنُدَلّس مَقَامٌ

وتزداد القيمة الوثائقية للمادة الشعرية عندما تنفرد بذكر الحدث التاريخي بجزئيات قد لا تكون هامة في نظر المؤرخ لا كنها جد مفيدة لمعرفة حياة بعض الأفراد وخصائص بعض المجتمعات[1].

وعندما يتحيز النص الشعري للمبالغة المرهونة بلوحات المديح فإن النص التاريخي وجد لضبطه وتوجهيه إلى جادة الصواب وذلك بحكم أمانته وصدقه في نقل الخبر بواقعية.

وبالمقابل تظل صور الصدق والدقة مرصودة في مرثيات الشعراء وفي رثائياتهم للمدن، وفي شعرهم السياسي، والحماسي بصفة خاصة، فلا يوجد أبلغ ولا أصدق في تصوير أعماق النفس البشرية من الشعراء ولإثبات مصداقيتها في جانب المنظومات القيمية تتبعناها بتأكيد من القران الكريم والسنة النبوية.

وعلى هذا الأساس فإن العلاقة بينهما توحي بتعالق هو في ظاهره ترافد بين حلقين معرفين، فكل منها يعد مصدرا للآخر ورافدا له[2].

---

[1]– جمعة شيخة، «إلى أي مدى يمكن أن يعتبر الشعر الأندلسي مصدرا للتاريخ»، ضمن أعمال ندوة حضارة الأندلس في الزمان والمكان، المغرب، من 6 إلى 16 /04/ 1992، منشورات جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، (د. ت)، ص181.

[2]– عبد الله التطاوي، المرجع السابق، ص78.

– ويعد أدب القيم رافد للكتابة التاريخية يظهر ذلك من خلال: القرنين السادس والسابع هجري.

– وبينت الترابط بين المنظومة القيمة الأخلاقية والحقول الاجتماعية السياسية والعسكرية.

وقد اتسعت أبعاد المنظومة القيمية في الخطاب الأدبي التاريخي لتشمل الملامح الروحية، الاجتماعية الجسمانية والجمالية في الغرب الإسلامي من القرن 7/6هـ. وكشف الخطاب الأدبي للقيم عن جوانب تاريخية أظهرت في الجانب النفسي قيمتي الرحمة والرأفة: مما أوحى بقوة إيمانهم ورضاهم بقضاء الله وقدره.

وفي الجانب الاجتماعي: فقد قدمت المدونة الأدبية الوسيطية عديد القيم بأشكالها الناظمة للسلوك والأخلاق والمؤطرة للفكر ومن بينها:

وقيمة الحياء: عند المرأة الذي برز في لباسها المحتشم، ولم يكن هذا يمنعها من الاهتمام بزينتها.

وقيمتي البر والإحسان: فحب الخير للناس قولا وفعلا وإيثار الصلاح لهم يؤلف بين القلوب وظهرت هذه القيمة عند المجتمع الموحدي بمختلف أنواع الخير التي يقومون بها بطيب الكلام وحسن الفعال والتبرع بالمال..... وغيرها.

وقيمة البشر والتهنئة في عديد المناسبات السعيدة التي توحي بتكافل المجتمع في أفراحه وأقراحه.

وقيمة العدل في المجال السياسي: فقد أثبتت المدونة الأدبية أن هذه القيمة انتهجها الخلفاء الموحدين وظهر أثر ذلك في إصلاح الفساد ونشر الأمن في الغرب الإسلامي.

الفـــصـــل الأول

قـــــيم التسامي الروحي

أولاً- الحياء والتواضع

ثانيًا- الصدق والنزاهة

ثالثًا- الصبر والثبات

رابعًا- الوفاء والإخلاص

خامسًا- العفة والاستقامة

سادسًا- السخاء والكرم

القيم الروحية هي الأخلاق المطهرة والمهذبة للنفس، وقد كانت حاضرة في مجتمع الغرب الإسلامي، بحكم استنادها إلى مرجعية دينية قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1] وتأكيدا على ضرورة إصلاح النفوس وتطهيرها قال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ"[2] فالشريعة الإسلامية تهدف إلى تقويم الأخلاق وتلك المقاصد الروحية لمسناها في مجتمع الغرب الإسلامي من خلال المدونة الأدبية الوسيطية التي شهدت ازدهار كبير لعدة أسباب وفي مقدمتها اهتمام الخلفاء بالأدب والأدباء، وكان لهذا الاهتمام استجابة تجلت في الأغراض الشعرية التي غلب عليها المدح، الفخر والحماسة في حضرة الخلفاء، مثل أشعار أحمد عبد السلام الجراوي (ت 609هـ)[3] الأديب المغربي وغيره من الشعراء الذين رسخوا أسمى القيم الروحية في ممدوحيهم.

أولاً- العفاف والحياء

1- العفاف:

العفيف هومن يباشر الأمور وفق الشرع[4]، والعفة والعفاف هو حصول حالة النفس تمنعها من فعل المنكرات وهي النزاهة عما لا يحل قال صلى الله عليه وسلم:

---

[1]- سورة الرعد، آية 11، ص250.

[2]- أخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد، باب حسن الخلق، من جامعه الصحيح، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1998،ج1، ص144، رقم الحديث 270 .

[3]- أحمد بن عبد السلام الجراوي، كنيته أبو العباس أصله من تادلى نسبه في بني غفجوم سكن في مراكش، كان عالما بالآداب حافظا بليغ اللسان شاعرا مفلقا، توفي عام 609هـ/1212م، ينظر، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن الأبار القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، تح، عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والتوزيع، لبنان، 1995، ج1، ص112.

[4]- علي بن محمد الجرجاني (ت 816هـ)، معجم التعريفات، تح، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة لنشر والتوزيع، 2004، ص172.

"اللَّهمَ إِنِّي أَسْأَلُكَ التُّقَى وَالْهُدَى وَالعَفَافَ والغِنَى"[1] وهذا العفاف الذي سأله نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام يشمل كل أنوعه وهو التنزه على كل أنواعه وهو التنزه على كل ما يدنس النفس.

ومن الألفاظ التي تتقارب مع معنى العفة في اللغة وقد تشترك معها في تأدية المعنى الاصطلاحي نجد الحياء، الورع، الصيانة، الخجل، الخفر[2].

والعفاف هومن أخلاق الإسلام وآداب أهل الإيمان التي ميزت مجتمع الغرب الإسلامي ومن بين صوره التي تغنى بها الشعراء الموحدين نذكر ابن الأبار (ت 658هـ)[3] الذي أوضح أن العفة من صفة الكرام ففي موضوع يدعو فيه للظرافة في الكلام بعفة النساك قال:

وَابْسُطْ لِي الْخَلْقَ المَشُوبَ بِبَسْطَةٍ طَرَفِ الْكَلَامَ بِعِفَّةٍ النُّسَّاكِ[4]

أما الجراوي (ت 609هـ)، فقد أورد ما قاله المتنبي في أبلغ صور العفة، التي تميز بها ممدوحه الذي كان يتعفف من كل شيء حتى من الشمس.

عَفِيْفٌ تَرُوقُ الشَّمْسَ صُوْرَةَ وَجْهِهِ فَلَوْنَزَلْتَ شَوْقًا لَحَادَ إِلَى الظِّلِ[5]

---

[1]- أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، من صحيح مسلم ، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1954، ج1، ص2087، رقم الحديث 2731.

[2]- فاطمة الزهراء مزوزي، «العفة في القرآن الكريم موجباتها مظاهرها وآثارها دراسة في التفسير الموضوعي»، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2013، (ص24- 35).

[3]- أبوعبد الله محمد ابن الأبار القضاعي البلنسي (ت595- 685هـ)، الأديب الشهير والفقيه الكاتب، ينظر، أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج3، ص303.

[4]- محمد أبوعبد الله ابن الابار القضاعي البلنسي (ت595- 685هـ)، تحفة القادم، تح، إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986، ص43.

[5]- البيت لأبي الطيب المتنبي، الجراوي، المصدر السابق، ص555.

وهذه العفة لها أجرها عند الله سبحانه وتعالى ودليل ذلك قول نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام: "مَنْ يَسْتَعْفِفْ يَعَفُهُ الله"[1] وقال أيضا: "ثَلاَثَةٌ حَقَّ عَلَى الله عَوْنُهُم: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله، وَالمُكَاتِب الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاء، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَاف"[2].

إن المؤمن يتطهر بترك المعاصي وطهارة اللسان وإبعاده عن قبيح القول وتلك من شيم أهل الغرب الإسلامي التي تحلَّوبها ودليل ذلك ما أورده الجراوى لأحد الشعراء الذي أنشد لعفيف النفس اليد واللسان:

وَلاَ عِفَّةٌ بِسَيْفِهِ وَسِنَانِهِ وَلَكِنَّهَا فِي الْكَفِ وَالْفَرَجِ وَالْفَمِ[3]

وفي موضوع آخر من ديوانه قال أحد الشعراء:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزِنْ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْئٍ سِوَاهُ بِخَازِنٍ[4]

وهي صورة العفاف التي استمدها أهلها من دينهم الإسلامي، وكثيرة هي الآيات والأحاديث الدالة على ذلك نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[5] وقال عز وجل في حفظ اللسان وعفته ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[6] فالإنسان مسؤول أمام الله عن حفظ جوارحه والإيمان بالله يمنع المؤمن من ارتكاب الفواحش وقول المنكرات وهذا ما أخذه أهل الغرب الإسلامي على عاتقهم.

---

[1]- أخرجه مسلم، في كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، من صحيح مسلم، ص792، رقم الحديث 1053.

[2]- أخرجه الترمذي، في كتاب الأحكام والوصايا، باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب...، من جامعه الكبير، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ج3، ص 288، رقم الحديث 1655.

[3]- البيت لأبي الطيب المتنبي، الجراوي، المصدر السابق، ص507.

[4]- البيت لامرئ القبس، الجراوي، المصدر نفسه، ص1243.

[5]- سورة النور آية 33، ص354.

[6]- سورة ق، آية 18، ص519.

2- الحياء:

هو انقباض النفس من شيء وتركه حذَرا عن اللوم فيه[1]، وهو عند الحافظ بن حجر: خلق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فُيحق ذي الحق،[2] وقيل: أنه تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم، هو خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق[3].

لقد تعددت صور الحياء في الغرب الإسلامي، واقتصرنا على ما تغنى به بعض الأدباء الموحدين، فقد كان الحياء يميز المرأة المسلمة ويحفظ كرامتها ويزين أخلاقها لذلك عُرفت النساء المسلمات في المغرب والأندلس بالحياء والحشمة فعن لباسها الشرعي أخبرنا ابن الأبار:

وَأَبْتَاعُ بِالْمُحَيَا وَنَاهِيكَ صَفَقَهُ مُوَفَقَةٌ ذَاكَ الْمُحَيَا الْمُحَجَبَا

وَقَدْ جَعَلَت تَشْتَدُ نَحْوَ خَبَائِهَا لِتُخَبِأَ نُوْرًا مُذْ تَلأَلأَ مَا خَبَا[4]

كما وصف لنا احد الشعراء برقع المرأة والستار الذي تغطي به وجهها حياء فقال:

قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاُء مِنَ الْبُكَا فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَا أَنْ يَمْنَعَا

سَفِرَتْ وَبُرْقُعُهَا الْحَيَاءَ بِصُفْرَةٍ سَرَتْ مَحَاسِنُهَا وَلَمْ تَكُن بُرْقُعَا[5]

---

[1]- الجرجاني، المصدر السابق، ص94.

[2]- الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (852هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح، شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، ط1، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2013م، ج1، ص113.

[3]- ليلى سوراني وآخرون، معجم المصطلحات الأخلاقية، ط1، بيت الكاتب للنشر والتوزيع، بيروت، 2006، ص 35.

[4]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص101.

[5]- البيتين للمتنبي، الجراوي، المصدر السابق، ص1026.

ورغم جمالهن إلا أنهن يحرصن على الخفـــر ففي موضوع آخر أورده الجراوي لأحد الشعراء الذي قال:

قَدْ فُـــزْنَ بِالْحُسْنِ وَالْجَمَالِ مَعًا وَفُزْنَ رِسْلاً بِالدِّلِ وَالْخَفَـــرِ[1]

فالحياء يصون المرأة ويزيدها جمالا وكل ذلك من الخير الذي أشار إليـــه النبـــي عليه الصلاة والسلام في قوله: "الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ".[2]

ورصدت المدونة الأدبية الوسيطية أهم المظاهر التي تدل علـــى حيـــاء المـــرأة المسلمة في الغرب الإسلامي، والذي تبدى في مشيتها التي وصفها ابن الأبار بقوله:

أَهْلاً بِسَاحِرَةِ الْجُفُونِ وَقَدْ أَتَتْ لِزِيَارَتِي تَمشِي عَلَى اِسْتِحْيَاءَ[3]

وفي سورة القصص تأكيد ذلك في قوله: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[4].

كما تجلى حياءها أيضا في سمات وتقاسيم وجهها وأورد صـــورتها ابـــن ســـعيد (ت685هـ)[5] المغربي في قدحه المعلى:

مِنْ كُلِّ بِكْرٍ حُرَّةٍ مَا فَارَقَـــت أَطْـــرَافَهَا وَبُكَائُهَا وَحَـــيَاؤهَا

يَبْدُو اِحْمِرَارَ الْبَرْقِ فِي صَفَحَاتِهَا خَجِلاً إِذَا رَفَعَ النَّسِيمُ رِدَائَهَا[6]

وتستحي العفيفة عندما يرتفع ثوبها على حين غفلة منها وهوما ذكره ابن الأبار:

مِثْلُ الْخَرِيْدَةِ إِنْ تَقَلَّصَ ثَوْبَهَا خَجِلَتْ لِشَيءٍ تَحْتَهُ مَدْفُونُ[7]

---

[1]- البيت لـــ عمر ابن ربيعة، الجراوي، المصدر السابق، ص1121.

[2]- أخرجه البخاري، في كتاب الأدب، باب الحياء، من جامعه الصحيح، ص1529، رقم الحديث6117 .

[3]- البيت لأبي محمد عبد الله بن محمد بن عمار البكري، ابن الأبار، تحفة القادم، ص150.

[4]- سورة القصص، آية 25، ص388.

[5]- أبو الحسن علي ابن موسى ابن سعيد (ت610- 685هـ)، فقيه وعلامة الأعلام ومالك عنـــان البيـــان مـــؤرخ، مفسرو ومحدث، ينظر، أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد، القدح المعلى في التـــاريخ المحلـــى، تـــح، إبـــراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1959، ص02.

[6]- البيتين لأبي الحسن حازم بن الحسن، ابن سعيد، المصدر نفسه، ص20.

[7]- البيت لابن عميرة المخزومي، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص210.

ولذلك نهى الله تعالى المرأة عن إبداء زينتها في قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[1] وقال عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ الله حَيِّيٌّ سِتِّيْرٌ يُحِبُ الْحَيَاءَ"[2].

وقد لفت انتباه ابن سهل الإسرائيلي[3] غض البصر عند المرأة وهومن كريم الأخلاق وأرفعها شأنا فقال:

فَكَأَنَّمَا غَضَ الْحَيَاُء جُفُونَهَا إِذْ لاَ تَقُومُ بِشُكْرِهَا الإِنْعَامَا

وهي بذلك تطيع أمر خالقها الذي قال: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...﴾[4].

ونظرا لشدة حياءها كان يشق على الرجل ذكر حاجاته عندها وهوما حصل مع أحد الشعراء فقال:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكِ إِنَّ تَبَسُمَكِ الْحَيَاءُ[5]

وهي بذلك تطبق أمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال: "اِسْتَحْيُوا مِنَ الله حَقَّ الْحَيَاء قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ الله إِنَّا لَنَسْتَحِي وَالْحَمْدُ لله قَالَ: "لَيْسَ ذَاكَ: وَلَكِنَّ الَحَيَاءَ أَنْ تَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى وَتَتَذَكَرَ الَمَوْتَ وَالْبَلَى وَمَن أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِيْنَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اِسْتَحْيَا مِنَ الله حَقَ الْحَيَا"[6].

---

[1]- سورة النور، آية 31، ص353.

[2]- أخرجه الترمذي، في كتاب الولاء والهبة ، باب الاستتار عند الاغتسال، من سنن النسائي، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ج1، ص135، رقم الحديث 404.

[3]- إبراهيم ابن سهل الاشبيلي الإسرائيلي (649هـ/1251م) شاعر مشهور مقتدر لم يوازيه أحد من أهل عصره في تمكنه وله ديوان، ينظر، ابن سعيد، المصدر السابق، ص73.

[4]- سورة النور، آية 31، ص353.

[5]- البيت لـ أمية بن أبي الصلت، الجراوي، المصدر السابق، ص140.

[6]- أخرجه الترمذي، في كتاب الولاء والهبة، من جامعه الكبير، ج4، ص245، رقم الحديث 2458.

كما تميز الرجل المسلم الأندلسي والمغربي بالحياء فنقل لنا بعض أدباء الغرب الإسلامي نماذج مختلفة في شدة حياءهم فكان أحدهم يتعثر من فرط حياءه فوصفه ابن شكيل الصدفي (ت 650ه)[1] فقال:

أَطَلَّ يَعْثُرُ فِي أَذْيَالِ مِشْيَتِهِ مِنَ الْحَيَاءِ وَيَلْحِي قَوْمَهُ الْغَلَبه[2]

وآخر يظم إليه إزاره حياء فأنشد فيه ابن الأبار في تحفة القادم:

شَقَّ النَّسِيمُ عَلَيْهِ جَيْبَ قَمِيْصِهِ فَانْسَابَ مِن شَطَّيْهِ يَطْلُبُ ثَارَهُ

وَتَضَاحَكَت وُرْقُ الْحَمَامِ بِأَيْكِهَا هَـزْءًا فَضَمَّ مِنَ الْحَيَاءِ إِزَارَهُ

أما ابن دحية (ت 633ه)[3] فقد أورد لأحد الشعراء الذي كاد يذوب من شدة حياءه فقال:

فَتَقَاعَسَ الْمَلْعُونُ عَنْهُ وَإِنَّنِي لَلأَكَادُ مِنْ فَرْطِ الْحَيَاءِ أَذُوبُ[4]

والحياء يزيد من زينة المرء قال رسول الله صلى عليه وسلم: "... وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ"[5].

ثانيًا- الصدق والنزاهة

1- الصدق:

في اصطلاح أهل الحقيقة: هو قول الحق في مواطن الهلاك، وقيل أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب، وقيل أيضا الصدق هو ضد الكذب وهو الإبانة عما يخبر به على ما كان[6] ويتحقق الصدق عندما تتطابق الأقوال مع الأفعال ويندرج ضمنه

---

[1]- أبو العباس أحمد بن يعيش بن علي بن شكيل الصدفي، من أهل شريش وأحد شعرائها الفحول وله ديوان شعر توفي سنة 605ه، ينظر، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص140.

[2]- المصدر نفسه، ص141.

[3]- ابن دحية أبي الخطاب عمر حسن (ت 633ه)، أشتهر بحفظه الكثير ومعرفته في الحديث موصوفا بالفضل والمعرفة وله ديوان شعره، ينظر، المقري، المصدر السابق، ص145.

[4]- البيت لأبي بكر يحيا بن سهل اليكي، أبو الخطاب عمر حسن ابن دحية (ت 633ه)، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح، إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العلم للجميع للطباعة النشر والتوزيع، بيروت، 1954، ص150.

[5]- أخرجه البخاري، في كتاب الأدب المفرد، باب الحياء، من جامعه الصحيح،ج1، ص1994، رقم الحديث 2577.

[6]- الجرجاني، المصدر السابق، ص113.

عدة معاني منه: الجد في القول، الوفاء بالوعد، صدقة النية، الحق والثقة[1] كما أن خلق الصدق يبعد صاحبه عن الهلاك والشقاء ويدنيه إلى صراط السعادة صراط الجنة فيهدي صاحبه إلى بر الأمان ويبعده عن فجور الكفر والنفاق[2]، وأورد الجراوي في ذلك:

إِنْ مَا جِئْتَنَا بِهُ حَقُ صدْقِ سَاطِعٌ نُوْرَهُ مُضِيٌء مُنِيـــــرٌ
جِئْتَنَا بِاليقين والصدق والبِّـ ـرِ وَفي الصدِقِ واليقينِ سرورٌ[3]

ونقل إلينا **ابن طفيل** (ت 580ه)[4] أبيات تشير إلى وعد الله الصادق والتي كانت بمناسبة فتح قفصة عندما توجه الخليفة الموحدي أبي يعقوب من مراكش سنة 575ه إلى قفصة وحاصرها وافتتحها وأرسل قصيدة تبشير بالفتح إلى الأندلس ومراكش قال فيها:

وَلَمَّا اِنْقَضَى الْفَتْحُ الَّذِي كَانَ يُرْتَجَي وَأَصْبَحَ حِزْبُ الله أَغْلَبَ غَالِـبِ
وَأَنْجـــــزْنَا وَعْـدٌ مِنَ الله صِدْقٌ كَفِيلٌ بِإِبْطَالِ الظُّنُونِ الْكَـوَاذِبِ[5]

وكثيرة هي الأدلة الربانية التي تُظهر صدق الله بما وعد نذكر منها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاء وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾[6].

ولذلك كان أبو القاسم السهيلي (ت 581ه)[7] يدعو الله ويسأله الصدق قائلا:

يَا الله هِبْ لِي دُعَاءَ صِدْقِ يَسْمُو بِهِ بَاعِي الْـقَصِيرِ
أَسْرَفْتَ يَا رَبَّ فِي خَطَايَا أَنتَ بِهَا عَالِمٌ بَـصِيـر[8]

---

[1]- عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص197.

[2]- عبد الرحمان حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط 5، دار البشير، جدة، 1999، ص136.

[3]- البيتين لعبد الله ابن الزبعر، الجراوي، المصدر السابق، ص80.

[4]- أبو بكر محمد عبد بن طفيل القيسي، من أهل الأندلس كان أديبا وشعره في غآية الجودة كتب لوالي غرناطة توفي بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، ينظر، ابن الابار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص96.

[5]- المصدر نفسه، ص98.

[6]- سورة الأنبياء، آية 9، ص323.

[7]- أبو زيد عبد الرحمان بن عبد الله (ت 581ه)، الأستاذ المحدث والفقيه النحوي الأصولي له ديوان لشعره، ينظر، ابن دحية، المصدر السابق، ص122.

[8]- المصدر نفسه، ص232.

ومن الأدعية الواردة بالقرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾[1].

ونقل إلينا الأدباء الموحدين صورا للصادقين من مجتمع الغرب الإسلامي بين القرنين 6 و7ه الذين أطاعوا الله فيما أمر واقتدوا بصدق النبي فيما فعل ففي صدق أبو زكريا يحيا (ت 647ه) مؤسس الدولة الحفصية وأول ملوكها قال ابن الأبار:

وَيَدِينُ بِصِدْقِ اللَّهْجَةِ مِنْ إِقْصَادِ المُهْجَةِ مَقْصَدَهُ[2]

وافتخر ابن الأبار بصدقه في القول والعمل فقال:

وَآيَةُ الصِّدْقِ فِي قَوْلِي وَتَجْرِبَتِي أَنَّ الجَوَادَ عَلَى الْعِلَّاتِ مَا وَأَلا[3]

وكذلك ابن الربيع (ت 610ه)[4] الذي افتخر بصدق قلبه في أبيات بعث بها إلى الخليفة أمير المؤمنين أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور بالله (580-595ه) ثالث خلفاء الموحدين ببلاد المغرب فقال:

خُذْ أَمِيرَ المُؤْمِنِين مَدِيحَةٌ مِن قَلْبِ صِدْقٍ لَم يُشْبِه تَصَنُع

فَالمَدْحُ مِنِّي فِي عُلَاكَ طَبِيعَةٌ وَالْمَدْحُ مِن غَيْرِي إِلَيْكَ تَطَّبُع[5]

وفي رسالة كتبها أحد الفقهاء إلى ابن سعيد المغربي (ت 685ه) وصفه فيها بالصادق فقال فيها: «إلى تونس، حرسها الله تعالى....وحرص ولائكم الأصدق مودتكم، فإنه وصل لمحبكم كتابكم المبرور تقررون فيه ودكم...»[6].

كما وصف ابن الأبار أحد قضاة الجزيرة الخضراء بقوله: «خطيبا مفوها ولي قضاء بلده و كان رجل صدقا...»[7].

---

[1]- سورة الإسراء، آية 80، ص290.

[2]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص164.

[3]- ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص175.

[4]- أبو الربيع سليمان بن عبد الله الموحد (ت 610ه)، من أهل بلنسية خطيب وعلم الأعلام، واللعوب بأطراف الكلام وإماما في صناعة الحديث مستبحرا في الأدب مشهورا في البلاغة، ينظر، ابن الأبار، تحفة القادم، ص201.

[5]- أبو الربيع سليمان بن عبد الله الموحد (ت 610ه)، ديوان شعره، تح، محمد بن ناولت الطنجي وآخرون، منشورات كلية الأدب جامعة محمد الخامس، المغرب، ص22.

[6]- النص للفقيه أبو القاسم، ابن سعيد، المصدر السابق، ص103.

[7]- ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص87.

وذكر أحد الشعراء صورتين للصدق عند ممدوحه في الإنفاق والجهاد فقال:

يَدَاكَ يَدَا صِدْقًا فَكَّفٌ مُـــفيدَةٌ فَكَّفٌ إِذَا مَا لاَنَتْ النَّاُس تَصْدُقُ[1]

كما امتدحوا أقوامهم وأهليهم بالصدق ومن ذلك قول أحد الشعراء:

قَوْمٌ إِذَا وَعَدُوا أَو أَوْعَدُوا غَمَرُوا صِدْقًا ذَوَائِبَ مَا قَالُوا بِمَا فَعَلُوا[2]

فهؤلاء وكل من اقتدى بهم جزاؤهم عند ربهم في قاله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[3].

والثقة بالله الصادق في وعوده تفرج الكروب ودلَّ على ذلك قول ابن الأبار:

وَبِلُطْفِ الله أُصْبِحُ وَاثِقًا كُلُّ كَرْبٍ فَعَلَيْهِ فَرَجَه[4]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً﴾[5].

2- النزاهة:

وهي اكتساب المال من غير مهانة ولا ظلم وإنفاقه في المصارف الحميدة[6] فمن القوادح إهانة النفس توصلا للأغراض الدنية، فالترفع عما في أيدي الناس وصيانة النفس من خوارم المروءة هي نزاهة محمودة[7]، والصلاح ينبع من النفس النزيهة الصالحة المرتبطة بالصدق مع الله، وهي تلتقي مع معاني الأنفة، الإيباء الترفع وعزة النفس والشرف...[8].

---

[1]- البيت لأعشى بكر، الجراوي، المصدر السابق، ص154.

[2]- البيت لأبي تمام، الجراوي، المصدر نفسه، ص 375.

[3]- سورة النساء، آية 69، ص89.

[4]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص118.

[5]- سورة النساء، آية 122، ص98.

[6]- خالد بن جمعة الخراز، موسوعة الأخلاق، ط1، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، 2009، ص309.

[7]- عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعريف، تح، عبد الحميد صالح حمدان، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1990، ص323.

[8]- ماجد الغامدي، النزاهة قيم وسلوك، وزارة الثقافة والإعلام، الرياض، 2017، ص39.

وقد دعا التطيلي[1] في موشحه إلى تنزيه السمع لاجتناب اللوم فقال:

وَنَزِّهْ السَّمْعَ عَنْ مَنْطِقِ اللاَّحِي[2]

ونهي الجراوي عن تشريف القول ووضاعة الفعل فقال:

كَم مِن شَرِيفِ القَوْلِ قَد عَزَّنِي بَقَوْلِهِ وَالفِعْلُ مِنْهُ وَضِيع[3]

وقد أبغض الله ذلك الأمر وقبحه فقال: ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[4].

أما ابن الجنان (ت 650ه)[5] فقد دعا إلى التنزه لكل من يصبو إلى وصف الذات الإلهية لأن ذلك يعجزه فقال:

تَنَزَّه عَن إِدْرَاكٍ، وَاصِفٍ فَلِلْعَجْزِ فِي الإِدْرَاكِ يَجْرِي الَّذِي يَجْرِي

لَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فَلاَ نِدٌ مُشَبَّهٌ وَلا مثل في فضله تسامى عن الحصر[6]

فالله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[7].

وقد نزه الله سبحانه وتعالى أرض المسلمين وشرفها ونقلا عن أحد الشعراء قال الجراوي:

قَد شَرَّفَ الله أَرْضًا أَنْتَ سَاكِنَهَا وَشَرَفَ النَّاسَ إِذْ سَوَاكَ إِنَسَانُ[8]

---

[1]- أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة الأعمى التطيلي (ت 552ه)، أديب بارع فهمه لا يجارى وذهنه يبارى وجاء في نظمه بالنادر المعجز، ينظر، أبو الحسن علي ابن موسى ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تح، شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1955، ج2، ص450.

[2]- الأعمى التطيلي، المصدر السابق، ص264.

[3]- الجراوي، المصدر السابق، ص138.

[4]- سورة الصف، آية 2، ص551.

[5]- محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري أبو عبد الله ابن الجنان (ت 650ه) من أهل مرسية، كان كاتبا بليغا وشاعرا بارعا، كان محدثا راوية ظابطا، رائق الخط، ينظر، المقري، المصدر السابق، ج7، ص416.

[6]- أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري ابن جيان الأنصاري الأندلسي، (ت 646ه)، ديوان شعره، تح، منجد مصطفى بهجت، كلية الآداب، الموصل، 1990، ص57.

[7]- سورة الشورى، الآية 11، ص484.

[8]- البيت لأبي الطيب المتنبي، الجراوي، المصدر السابق، ص472.

وفي نزاهة أهل الأندلس وشرفهم قال: أبو الربيع (ت 610هـ):

هَذِهِ الجَزِيرَة فَتَطَوَقْتَهَا شَرَفًا طَوقَ الْحَمَامَة لاَ تُبْلَى عَلَى الزَّمَن[1]

وابن الحبوس (ت 570هـ)[2] تغنى بنزاهة الخليفة الموحدي فقال:

عُزِلَت وَلاَّةُ الحُسْنِ عَن إِدْرَاكِهِ فَهُوَ المُنَزَّهُ حَسْبَهُ أَن يَعْقِلاَ[3]

كما تميز أهل المغرب الإسلامي بالنزاهة والشرف وهو ما لفت انتباه أحد الشعراء فقال:

وَمَا شَرَفُ الأَرْجَاءِ إلاَ رِجَالَهَا وَإلاَ فَلاَ فَضْلُ لِتْرِب عَلَى تُرْبٍ[4]

وابن الأبار في وصفه لنزاهة الخليفة الحفصي أبي زكريا يحيى قال:

أَيْنَ مَنَ وَصَفَ القَرِيضُ لَهُ وَصْفُ تَنْزِيهُ وَتَنْزِيلُ[5]

وفي نص لابن سعيد يصف فيه نزاهة أحد الأدباء فقال: «لقيته في سبته ... وكان مشهورا بالرفاهية له في ذلك حكايات محفوظة وأمور كانت عند أهل سبته مع لأيام ملحوظة، منها أنه كانت له ثياب النزاهة»[6].

والتطيلي افتخر بنزاهته وعبر عنها بالإباء فقال:

أَبِيٌّ إِذَا كَانَ الإِبَاءُ سَجِيَّةٌ مِنَ التَّرْكِ لِلنُّقْصَانِ وَالأَخْذِ بِالفَضْلِ[7]

والنزاهة هي الأنفة والترفع عن الدنايا كما وصفها أحد الشعراء:

أَنِفُ الكَرِيمِ مِنَ الدَّنِيَةِ تَارِكُ فِي عَيْنَيْهِ العَدَدُ الكَثِيرِ مِنَ القَلِيلِ[8]

ولهذا دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى التنزه وصيانة النفس في مواقف الريبة فقال: "دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ..."[9] .

---

[1]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص29.

[2]- أبو عبد الله ابن حبوس الفاسي (ت 575هـ)، امتاز بتضلعه العلمي في النحو والكلام حتى صار أديبا مشهورا وله ديوان لأشعاره، ينظر، ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج2، ص371.

[3]- أبو عبد الله محمد بن حسين بن عبد الله بن حبوس الفاسي (ت 575هـ)، ديوان شعره، مجلة المناهل، ع:50، وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربية، 1996، (ص253، 256).

[4]- البيت لأبي عبد الله محمد بن خطاب الهنتاني [الجياني]، ابن سعيد، المصدر السابق، ص34.

[5]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص247.

[6]- ابن سعيد، المصدر السابق، ص196.

[7]- التطيلي، المصدر السابق، ص145.

[8]- البيت لأبي الطيب المتنبي، الجراوي، المصدر السابق، ص498.

[9]- أخرجه الترمذي، في كتاب الولاء والهبة، من جامعه الكبير، ج1، ص285، رقم الحديث، 2577.

ثالثًا- الصبر والثبات

1- الصبر:

هو ثبات النفس وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب فيحبس اللسان عن الشكوى[1]، من ألم البلوى لغير الله قال صلى الله عليه وسلم: "مَن وجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمُدِ الله وَمَن وَجَدَ غَيرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَ نَفْسَهُ"[2] فخير عيش يدركه السعداء بصبرهم ويرتقوا لأعلى المنازل بشكرهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[3] وللصبر أنواع: فإتقان العبادة هو صبر على طاعة الله، ومنع النفس من الوقوع في الحرام هو صبر على معصية الله، والرضا بقضاء وقدره هو الصبر على أقدار الله فلا يتسخط ولا يتضجر[4] قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[5].

والمدونة الأدبية الموحدية وقفت على بعض مقامات الصبر في الغرب الإسلامي ومنها الصبر طاعة الله الجهاد، وهي من أفضل المقربات و أعظم الطاعات بعد الفرائض قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6].

وفي ذلك أورد الجراوي لأحد الشعراء الذي قال:

تَرَاهُ إلى الهَيْجَاءِ أَوَّلَ رَاكِبٍ ... وَتَحْتَ صَبِيرِ المَوتِ أَوَّلَ نَازِلِ

تَسَرْبَلَ سِرْبَالاً مِن الصَّبْرِ وَارْتَدَى ... عَلَيْهِ بَعَضْبٍ فِي الكَرِيْهَةِ قَاصِلِ[7]

---

[1]- ليلى سوراني وآخرون، معجم المصطلحات الأخلاقية، إشراف عباس نور الدين، ط1، بيت الكاتب للنشر والتوزيع، بيروت، 2006، ص46.

[2]- الجرجاني، المصدر السابق، ص112.

[3]- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت 751ه)،عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تح، إسماعيل بن غازي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، جدة، 1989، ص09.

[4]- خالد بن عبد الله الرومي، «القيم الخلقية في المنظور السلفي»، مذكرة مقدمة لنيل متطلبات الماجستير في الثقافة الإسلامية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1423ه، ص98.

[5]- سورة هود، آية 49، ص227.

[6]- سورة الروم، آية 47، ص409.

[7]- البيتين لأبي تمام، الجراوي، المصدر السابق، ص383.

ويصف ابن الأبار (ت 658هـ) تجلد أحدهم في نصرة الدين والدفاع عن بلاده فقال:

يَمِينًا بِمَا قَدَمْت مِن حُسْنٍ لَقَد حَمَيْتَ ذِمَارَ الدِّيْنِ وَالدِّينُ ضَائع
وَقُمْتَ بِأَعْبَاءِ الإِمَارَةِ نَاهِضًا تُجَالِدُ مِنْهَا مَن عَتَا وَتُقَارِعُ[1]

والله مطَلع ومدرك كل ذلك قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾[2]

وعلى المسلم الفقير الصبر فلا يتبرم ولا يتضجر ويصبر طاعة لله، وقد أورد في ذلك ابن سعيد المغربي (ت 685هـ) أنه وبينما كان رفقة أبي بكر محمد بن قسورة بن زهر الإيادي فقال: «كنت معه يوما في قبلة الجامع، وإذا بشيخ كثير التضجر والتبرم فكدر علينا ما كنا فيه فقال الشيخ أبو بكر: الدار التي تسكن فيها هي لك أو بالكراء تسكنها ؟ فقال: هي لي فقال له:

خُذ بِالعَزِّى تَسْتَرِح وَانْظُر إِلَى مَن حُطَ دُونَكَ فِي الحُظُوظِ وَأَجْمِل
وَلْتَنْظُر نُوبَ الوَرَى وَاصبِر علَى غَمَرَات دَهْرَكَ رَاجِيًا فَستَنْجَلِي
فِيْمَا التَّضجُر وَالتَّبَرُمُ دَائِمًا مُستَعْجِلاً فِي الرِّزْقِ مَا لَم يَعْجَل
مَا أَنْتَ فِي حَالٍ تَسُوءُ وَأَنْتَ قَدْ ضَفِرَتْ يَدَاكَ بِبُلْغَةٍ وَبِمَنْزِلِ[3]»

والله لا يخيب من صبر بل سيجازيه أحسن جزاء ويثبت إرادة على الصبر يقول ابن الجنان:

سَأَصْبِرُ حَتَّى يُنْجِزَ الله وَعْدَهُ وَلاَ بدَّ لِلرَّحْمَانِ أَن يُنْجِزَ الوَعْدَا
أَلَمْ يَعِدُ الله الكَرِيمِ بِفَضْلِهِ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا يَنْجَحُ السَّعْيُ وَالقَصْدَا
وَمَا زَالَ لُطْفُ الله يُفْرِجُ أَزْمَةً إِذَا اِستَصْعَبَت عَقْدًا وَاسْتَحْكَمَت شَدًا
وَحَسَّنتُ صَبْرِي رَاضِيًا وَمُسَلِمًا وَإِنْ كَانَ مِنِّي الصَبْرُ قَدْ بَلَغَ الجُهْدَا[4]

فوعد الله الذين صبروا بعظيم الثواب والأجر في عدة مواضع من القرآن نذكر منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[5].

---

[1]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص374.

[2]- سورة محمد، آية 31، ص510.

[3]- الأبيات لأبي بكر محمد بن قسورة بن زهر الإيادي، ابن سعيد، المصدر السابق، ص151.

[4]- ابن الجنان، المصدر السابق، ص79.

[5]- سورة الزمر، آية 10، ص459.

والنوع الثاني هو الصبر على معصية الله وما نهى عنه فيصبر على ما تُزَين لـه النفس، وفيما يلي أمثلة من واقع الغرب الإسلامي نقلها الأدباء الموحدين ففي صـرف هوى نفسه وتجلده قال ابن الربيع:

أَأَحْبَابَنَا الصَّبْرُ إنَّا كمـــا عَهِدتِم لِحُكْمِ الهَوَى صَابِرُونَـا

وَلاَ تجزعوا لصروفِ الزَّمَان فَعَاقبةُ الصَّبْرِ لِلْمُتَّقِـينَـا[1]

وقد بشر الله الصابرين في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]. ودعـا أحـد الشعراء إلى الانقطاع عن اللذات فقال:

وَاقطع الدُّنيَا يَقِينًا وَذَرْ اللَّذَاتَ تَتْرى

لاَ تَكُن أَعْدَى عَدوٍّ قَاتَك نَفْسَكَ صَبرًا[3]

وكان التطيلي يصبر عن كل معاصي وعزاؤه أنه بعد الصبر يأتي الفرج فقال:

واصبِر في ظَلمَاءِ كُلِّ كَرِيهَةٍ بحيث يَكُون الصَّبْرُ أَفْرجَ للغَّمِ[4]

وابن طفيل الأندلسي (ت 581هـ) كتب عن إحجامه ورده هواه صبرًا وطاعة لله فقال:

فَأقصرتُ لا مُستَغْنيًا عن نَوالِهَا ولكن رَأيتَ الصَّبرَ أَوْفَى وَأَكْرَمَا[5]

فالصابرون هم صفوة الكرام الذين قال عنهم ابن الابار:

لَقد صَبرُوا فيها كِرامًا وَصابَرُو فَلا غروَ أن فَازُوا بِصَفْو المَكَارِمِ[6]

قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[7]. وتوعدهم بالجنة فـي قولـه: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[8].

---

[1]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص54.

[2]- سورة هود، آية 49، ص227.

[3]- البيتين لـ أبي إسحاق إبراهيم بن أبي عبد الله محمد بن صناديد، ابن سعيد، المصدر السابق، ص144.

[4]- التطيلي، المصدر السابق، ص177.

[5]- ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص97.

[6]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص97.

[7]- سورة النحل، آية 96، ص278.

[8]- سورة الإنسان، آية 12، ص579.

والنوع الثالث من الصبر هو الأثقل على النفس وهو الصبر على المصائب التي تصيبه دون اختياره كالمرض والموت أو الأذى الذي يتعرض له من قبل الناس مثل الظلم الذي تعرض له أحد الفقهاء فقال:

سَأصْبرُ حتَّى يَسْأَمَ الصَّبرُ نَفْسَهُ وَيَضْجِرُ مَن يُعزى لِظُلْمَى من ظُلِم
وَتفتحُ بابًا أغلقتهُ بِجورُهَـــــا يدُ حُمِلَت تِلكَ الأيَادِي عَلَى عِـلُم[1]

فصبر هذا الفقيه طاعة لله لمَّا أمر بذلك في قوله جـلا وعـلا: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾[2].

وممن صبر في رزية الموت نذكر أبو الربيع لما مات ابنه محمد:

صَبرٌ وإن عَظُمَت عِنْدِي مُصِيبَةٌ لا يعْظُمُ الصَّبْرُ حتَّى يَعْظُمَ الفَرَج

كما تجمل بالصبر عند فقدِ أخيه أبي حفص.

فَهَا أنا صَبِرٌ لِلحَوادِثِ لم أجِد سِوى عَبَرَاتِي والعَزَاءَ ضَرُوبٌ[3]

وعندما استشهد أبو الربيع في وقعة بين المسلمين والنصارى قال ابن الأبار:

جَلائِلٌ دَقَّ الصَّبْرُ فيهَا فلَمْ نُطِق سوَى غَضَّ أَجْفَانِي وَعَضّ أَبَاهِم[4]

وبوفاة أحد القضاة قال أحد الشعراء:

رُجوعًا إلى الصَّبرِ الجَميلِ فَحقُهُ علينَا قَضَّى أَلا تُوَّدَى حُقُوقَـهُ
أُعزيكُم في البُعْد عَنْكُم فَإِنَّـنِي أُهَنِيه قُربًا من جِوَار يَرُوقَـهُ[5]

ولكل من تمالك نفسه وصبر بشَّره الله في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[6].

---

[1]- البيتين لأبي الحسن سهل بن مالك، ابن سعيد، المصدر السابق، ص64.

[2]- سورة مريم، آية 65، ص310.

[3]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص43.

[4]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص290.

[5]- ابن سعيد، المصدر نفسه، ص63.

[6]- سورة البقرة، آية 155، ص24.

2- الثبات:

هو حالة اطمئنان النفس بعد الإيمان وعلة ثبات بصيرة الباطن بالحقيقة وصيرورة هذه الحالة الباطنية لا تقبل الزوال وصدور الأعمال الصالحة من صاحب هذا الثبات دائم وضروري[1] والمقصود بالثبات في المنظور السلفي استمرار الفضائل الأخلاقية الحسنة والتسليم بها[2] فالثبات مطلب عظيم لا يستغني عنه أحد من المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَأْتِي على النَّاسِ زَمَانٌ، الصَّابِر فِيهِم عَلى دِينِه كَالقَابِضِ عَلى الْجَمْرِ"[3]، وقيمة الثبات تكمن في القدرة على التحمل والخوض في الأهوال ومقاومة الشدائد ثبات الإيمان هو اطمئنان النفس في عقائدها فلا تتزلزل عند الشبهات وظهور الفتن[4].

وقد شهدت ساحة الغرب الإسلامي الثبات في الجهاد والدفاع عن الدين فقال ابن الأبار في ويصف ثبات أحدهم:

وتَثْبُتُ يَومَ الرَّوْعِ في حَومَةِ الوَغَى كَأَنَّك [ثَهْلاَنٌ] بِهَا أو [مَتَالِع]

وَتَغْزُو العِدَى فِي عُقْرِهَا مُتَتَابِعًا وَحْسُبُكَ غَزْوٌ فِي العِدَى مُتَتَابِعُ[5]

والثبات يدفعهم إلى الدفاع والذود عن الإسلام دون التفكير في الامتناع أو التراجع وابن سعيد (ت 685هـ) قال في الثبات من قصيدة تهنئة بالنصر لأحد الملوك:

لَم تَمْتَنِع عِنْدمَا قَارَبتَ سَاحَتَهَا وَجَالَ جَيشكُ فِي تِلك المَيَادِينِ[6]

الثبات في الجهاد نابع من اليقين في الله بأنه حسبهم ومعينهم قال أبو الربيع:

أَليسَ الَّذي جَاهَدت فِي نَصْرِ دِينِهِ مُعِينًا بِما جَاهَدْتَ فِيه وَكَافِيَا

وَيحمِيكَ من تَحمِي بِسَيْفِكَ دِينَهُ فَلازِلْتَ مَحْمِيًا وَلازِلْتَ حَامِيَا[7]

---

[1]- ليلى سوراني وآخرون، المصدر السابق، ص27.

[2]- خالد بن عبد الله الرومي، المرجع السابق، ص74.

[3]- أخرجه الترمذي، في كتاب الولاء والهبة، من جامعه الكبير، ج4، ص110، رقم الحديث 2260.

[4]- ليلى سوراني وآخرون، المصدر نفسه، ص27.

[5]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص374.

[6]- ابن سعيد، المصدر السابق، ص07.

[7]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص31.

ويؤيد الله بنصره كل من يسأله الثبات قال تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[1].

الثبات في الدين قوامه الصلاة، ودليل ثبات أهل العدوتين في صلاتهم هو ما كتبه أبو بحر بن إدريس التجيبي (ت 598هـ)، في صفحة من حيطان أحد المساجد:

قُدِّست يَا بيتُ في البيوتِ ودُمْتَ لِلدِّينِ ذَا ثُبوتٍ

وكتب ابن مرج الكحل[2]:

يعمرك الناس في سجود وفي ركوع وفي قنوت[3]

وثابت المبادئ والقيم والخصال سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ذروة الكمال في التوازن والصفات ومنه كان ثبات الأمة الإسلامية[4] وله أورد الجراوي نقلا عن أحد الشعراء الذي قال:

إنِّي تَفَرَسْتُ فِيكَ الخَيرَ أَعْرِفُهُ والله يَعْلَمُ أنَّ مَا خَانَنِي البَصَـــــــرُ

فَثَبَّتَ الله مَا أَتَاكَ مِن حُسْـــنٍ تَثْبيتِ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا[5]

لذلك ثبت الله اسمه مع اسمه فقال ابن الجنان:

سَلامٌ عَلى مَن نَوَّهَ الله بِاسمهِ فَأَثْبَتَهُ في العَرْشِ سَطرًا مُقَيَدَا[6]

وكل من يحاول الثبات في دينه فإن الله ناصره ومعينه قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[7] وكان الله سبحانه وتعالى يشد أزر النبي صلى

---

[1]- سورة البقرة، آية 250، ص41.

[2]- محمد ابن إدريس بن علي أبو عبد الله الأندلسي (ت 634هـ)، الشاعر المفلق المعروف بمرج الكحل له ديوان لأشعاره، ينظر، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص249.

[3]- المصدر نفسه، ص225.

[4]- يوسف شحدت الكحلوت، الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف، الجامعة الإسلامية، غزة، 2010، ص214.

[5]- البيتين لعبد الله ابن رواحة، الجراوي، المصدر السابق، ص50.

[6]- ابن الجنان، المصدر السابق، ص81.

[7]- سورة إبراهيم، آية 27، ص259.

الله عليه وسلم ويحثه على الاستمرار والثبات في قوله: ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾[1].

رابعًا: الوفاء والإخلاص

1- الوفاء:

هو عدم العودة إلى ما تاب منه، وعدم التقصير في أداء ما عاهد نفسه على القيام به ولا يترك ما عاهد عليه شيخه ومربيه العارف في طريق الحق حتى آخر الأمر كما أنه الثبات على الحب ولوازمه وإدامته إلى الموت مع الأهل والأولاد[2] ويكون الوفاء بالعهد حتى مع غير المسلمين قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾[3]. أي محافظة عهود الخلطاء وملازمة طرق المواساة[4]، فالوفاء يعكس صورة رائعة لنفس مشرقة[5].

والمدونة الأدبية بينت أن المغربي والأندلسي هما أنموذجًا أصيلاً لهذه السجية العربية[6] ومن بين أنواع الوفاء التي أتت على ذكرها:

أ- الوفاء لله: ومن صوره الوفاء بالنذر فحين قدم أبا يحيا إلى تونس ليهنأ والده بمناسبة العيد ذكَّره بأنه وفّى بنذره حين أمَّن الحماية لأهله فقال ابن الأبار:

قَضَت نَذْرَهَا الدَّنْيَا بِتَأمِينِ أَهْلِهَا وَفَاءً فَأَوفُوا للدِيَانَةِ بِالنَّذْر

وَفَوُا بالَّذِي أَعْيَا الأَئِمَةَ قَبلَهُم وَأَعْيَا فُحُولَ النّظْمِ قَبْلِي والنَّثْر[7]

---

[1]- سورة الإسراء، آية 74، ص289.

[2]- الجرجاني، المصدر السابق، ص253.

[3]- سورة الإسراء، آية 34، ص285.

[4]- عبد الرؤوف بن المناوي، المصدر السابق، ص339.

[5]- سماح فتحي إبراهيم الصوفي، «الأخلاق الإسلامية عند حكام الأندلس و أثرها في بناء الدولة (92-422هـ/711- 1031 م)»، مذكرة قدمت لنيل متطلبات درجة الماجستر في التاريخ، الجامعة الإسلامية، غزة، 2015م، ص25.

[6]- سلمى سلمان علي، المرجع السابق، ص40.

[7]- ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص203.

وقد نبه القرآن إلى ضرورة الوفاء بالنذر قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[1].

ومن صور الوفاء لله كذلك الدعاء، وفي رسالة كتبها ابن سعيد المغربي إلى الشيخ أبو عبد الله بن همشك (ت 572هـ) قال فيها: «وصل الله وداده، ويسر في كل صالحة مراده، وعُلم مقتضاه من حفظ العهود، والجري في حلبة الوفاء على السنن المحمود...»[2].

وكذا وفاء الله لعباده فوعده الحق لا يُخلف وقد نصر محمد صلى الله عليه وسلم إذ دعاه ومما جاء في ذلك ونقله الجراوي فقال:

فَمِن مُبَلِّغِ الأقْوَامَ أنَّ محمَدَا رَسُولاً الإلَهِ رَاشِدًا حَيثُ يَمَّمَا
دَعَا رَبَّهُ واستَنْصَرَ الله وحدهُ فَأصْبَحَ قد وَفَّى إِليه وَأَنْعَمَا[3]

وقال تعالى: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾[4].

ب- الوفاء للوطن وللسلطان: وبمناسبة بيعة أبا زكريا وإعلان أهل افريقية الولاء والطاعة والوفاء له قال ابن الأبار:

أَطَاعَتْكَ إفريقيةَ فَكَفَيْتَهَا عُصَاةٌ عَلى إتْلاَفِهَا ائْتَلفوُا هُضّا
كَأَنَّ على الأفَاقِ نَذْرًا بِوَقْفِهَا عَليكَ فَبَعْضٌ فِي الوَفَاءِ تَلا بَعْضَا[5]

وامتدح التطيلي أحدهم فيما رأى من وفاءه فقال:

نَهَضْتَ بِعَبَأيْ حَدِّهَا واجْتهادِهَا تَسُرُّ لَيَالِي مِلْكَهَا وَتَسُور
وَفَّيْتُ بِحَقي نُصْحَهَا وَوِدَادِهَا تَدَّبرُ عِلْمًا أَمْرَهَا وَتُدِير[6]

والجراوي نقل عن أحد الشعراء الذي تغنى بوفاء أحد الملوك فقال:

إِلى مَلِكٍ كَهِلالِ السَّمَاءِ وَأزْكَى وفاءً ومجدًا وخِيرا[7]

---

[1]- سورة الإنسان، آية 7، ص579.

[2]- ابن سعيد، المصدر السابق، ص106.

[3]- البيتين للعباس ابن مرداس، الجراوي، المصدر السابق، ص67.

[4]- سورة الروم، آية 6، ص405.

[5]- ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص360.

[6]- التطيلي، المصدر السابق، ص62.

[7]- البيت للأعشى، الجراوي، المصدر نفسه، ص152.

والوفاء للوطن والدعاء له أمر وارد في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾[1].ولما كانت الطاعة هي من مرادفات الوفاء فقد أوجب الله طاعة ولاة الأمر فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2]. وقال صلى الله عليه وسلم: "مَن مَاتَ وَلَيْس فِي عُنُقِهِ بَيْعَة مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّة"[3].

ج- الوفاء بالعهد للناس للأهل والأصدقاء: خلق الوفاء واجب في المجتمع لتحقيق السعادة وحصول التعاون بين الأفراد وهوما كان يميز أهل الأندلس فقال الجراوي:

أَولئكَ قَومٌ بَنَّوا أَحْسَنُوا البُنى وإِن عَاهدُوا أَوفُوا وَإِن عَقدُوا شَدُّوا[4]

ومن صور الوفاء بالعهد للأهل تذكرهم حتى بعد موتهم مثل ابن الأبار في رثاء ابنته قال:

وفاءً بِعَهدٍ لا أُخِلَ بِحِفْظِـهِ إِلى عُرْضَةِ الأَمْواتِ في الحَشْرِ[5]

والتطيلي رغم وفائه لزوجته وتذكره الدائم لها فإنه يحس بالتقصير فقال:

آآمَنُ لاَ والله مَازِلتُ مُوفِـيًا بِبَينِكَ لو أَنِّي أَخذْتُ له حِذْرِي
وَالله مَا وَفَيتُ رِزْءَكَ حَـقَّهُ وَلَكِنَّهُ شَيءٌ أَقمتُ بِه عُـذْرِي

ومن وفاءه لعهد واحد من الذين بقيت فضائلهم راسخة حتى بعد وفاته فقال:

وَفِّيٌ وَقَد ضَاعَ الوَفاءُ وَأَهْلُهُ مُصَانَعَةً بَينَ الغِوايَةِ وَالجَهَل[6]

وابن الأبار يقول أنه وفَّى حق صديق له من التذكر:

يُـطَالِبُنِي فِيكَ الوَفاءُ بِغَايَـةٍ سَمَوتُ لَها حِفْظًا لِتِلكَ المَواسِمِ
وَهذي المَرَاثِي قَد وَفَيْتُ بِرَسْمِهَا مُسْهِمَةً جُهْدَ الوَفِيِّ المُسَـاهِمِ[7]

---

[1]- سورة البقرة، آية 126، ص19.

[2]- سورة النساء، آية 59، ص87.

[3]- أخرجه مسلم، في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.....، من صحيح مسلم، ص1475، رقم الحديث 1847.

[4]- الجراوي، المصدر السابق، ص121.

[5]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص221.

[6]- التطيلي، المصدر السابق، ص71.

[7]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر نفسه، ص294.

وأمرنا الله سبحانه وتعالى بالوفاء بالعهد فقال: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[1] ومن وفاء نبينا الكريم عليه الصلاة والتسليم أنه كان يكرم صديقات زوجته خديجة بعد وفاتها وإذا أتى بالشيء يقول: "اذْهَبُوا بِه إِلى فُلاَنَة فَإِنَّهَا كَانَت صَدِيقَةُ خَدِيجَة، اذْهَبُوا بِه إِلى بَيتِ فُلاَنَة فَإِنَّهَا كَانَت تَحِبُّ خَدِيجَة"[2]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاة فَيتتَبَعُ بِهَا صَدَائِقُ خَدِيجَة فَيُهْدِيهَا لَهُنَّ"[3].

هـ- الوفاء بالوعد: فتغني أحد الشعراء بمن وَفَى بوعده له فقال:

وَافَى فوفَّى بِوعدٍ ظَلَّ يُمْطُلُنِي فِيهِ وَأَطلَعَ صَحًا قَبلَ لَم يلُحِ[4]

وابن الأبار تعجب ممن يخلف الوعد فقال:

وَوَاعَجَبِي مِن خُلْفِ وافٍ بِعَهْدِهِ وِمنْ عَثْرَةِ المَخْذُوعِ لَم يَسْلُو بِالرَّدِ[5]

ولنا في الإسلام المثالية في الوفاء للرسل والأنبياء قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[6].

وقال أيضًا: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[7].

2- الإخلاص:

هو التبري عن كل ما دُون الله تعالى[8]، فلا تطلب لعملك شاهدا غير الله ويشترط فيه الستر بين العبد وخالقه لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميلُه وهو فرع من الصدق لا يكون إلا بعد الدخول في العمل[9] وقال ابن القيم، رحمه الله أن

---

[1]- سورة البقرة، آية 40، ص7.

[2]- أخرجه مسلم، في كتاب الأدب، باب حسن العهد من الإيمان، من صحيحه، ص1507، رقم الحديث 6004.

[3]- أخرجه البخاري، في كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم.....، من جامعه الصحيح، ج3، ص935، رقم الحديث 3818.

[4]- البيت لأبي أمية بن عفير الإشبيلي، ابن سعيد، المصدر السابق، ص133.

[5]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص496.

[6]- سورة النجم، آية 37، ص527.

[7]- سورة مريم، آية 54، ص309.

[8]- خالد الخراز، المصدر السابق، ص313.

[9]- الجرجاني، المصدر السابق، ص15.

الإخلاص هو إفراد الحق سبحانه وبالقصد في الطاعة[1]، والمخلص لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الناس لصلاح قلبه مع الله كما أنه لا يحب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من عمله[2] فإذا كان العمل المقدم لله على هذا النحو فإن نفس المؤمن تكون راضية ويشعر بسعادة روحية.

الإخلاص هو من أهم القيم الفضلى التي أبدع الأدباء الموحدين بالتغني لها فوجدناها حاضرة في مواضيعهم بتنوعها بين المدح والنصح أو الخطاب لا لشيء سوى أنها كانت سمة غالية تُجَمِّل مجتمع الغرب الإسلامي الموحدي.

وها هو ابن الأبار يهنئ أهل العدوتين لإخلاصهم فقال:

هَنيئًا لِلأهلِ العُدْوتين عِدَادَهُم بِإخلاَصِهِم فِي المُخلصِينَ الأَطَايبِ[3]

وبإخلاصهم لله وتفانيهم في طاعته سوف يسعدوا بالجنان قال أبو الربيع:

فَطُوبَى لِعَبْدٍ قَام لله مُخلصًا وَأيقظَ بِالقرآنِ وَالِّذكْرِ مَن لَهَا[4]

وللإخلاص حلاوة تذوقها ابن الأبار في عبادته فقال:

بِحَلاَوةِ الإِخْلاَصِ جُد لِي بِالرِّضَى إِنِّي رَأيتُكَ بِالعبَادِ رَفِيقَا[5]

ومن هنا كان الإخلاص لزاما في العبادات والطاعات قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء﴾[6].

ونذكر من صور المخلصين بالعدوتين كذلك ابن ادرسي التجبيلي (ت 598ه) وكتب عن إخلاصه فقال:

أَخلصْتُ لِلرَّحْمَانِ نِيَةَ عَالِمٍ أنَّ النُّفُوسَ لَهُ عَلى نِيَاتِهَا[7]

---

[1]- محمد أبو عبد الله بن أبو بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت 751ه)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت)، ج2، ص95.

[2]- محمد صالح المنجد، الإخلاص، ط1، مجموعة دار النشر، المملكة العربية السعودية، 2009، ص84.

[3]- ابن الأبار، ديوان، المصر السابق، ص84.

[4]- أبي الربيع، المصدر السابق، ص39.

[5]- ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص27.

[6]- سورة البينة، آية 5، ص598.

[7]- ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص199.

وابن سعيد المغربي أورد لأحد الشعراء الذي ظهر إخلاصه حتى في أبسط تعاملاته فقال:

فَقُل لِي كَيفَ لا أُوليكَ شُكْرِي وَإخلاصُ التَحيَّةِ والسَّلاَم[1]

وابن الأبار يعرب عن توسل أحدهم بإخلاصه ليكفيه الله من كل شر فقال:

مُتَوسِلٌ بِخُلوصِهِ مُتوكِلٌ وكفاهُ أن الله كافٍ كَافِلٌ[2]

وأبو الربيع يخلص في دعائه ليعقوب المنصور الخليفة الموحدي 580-559هـ فقال:

وَلأخْلِصَنَّ لَك الدعَا وَما أنَا أَهلٌ لهُ ولَعلَّهُ أن يُقْبَلاَ

فَأراكَ مَنصورَ اللِّواءِ مُضَفَّرَا وَأرَى بِسَيفِكَ من عَصَاك مُقَتَلاَ[3]

ولهذا حثنا ديننا بالإخلاص في القول والعمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا قَال عَبدٌ لا إله إلا الله قَطُّ مُخْلِصًا إلاَّ فُتِحَت لَهُ أبْوابُ السَّمْاء"[4]، وقال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[5]، وأوجب الإسلام إخلاص النية فقال رسول الله: "إنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلى نِيَّاتِهِم"[6] وقد تحدث الإسلام كثيرا عن الإخلاص لأنه سبب لنجاة المؤمن من ظنك الدنيا وعذاب الآخرة وسبيل للسعادة والصفاء الروحي.

خامسًا- الهداية والاستقامة

1- الهداية:

هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب[7] قال تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ فالهداية هي البيان والدلالة ولا سبيل إليهما إلا من جهة الرسل ويترتب عن حصولهما هداية التوفيق وجعل الإيمان في القلب محببا وجعله مؤثرا راضيا به راغبا فيه، ولا يحصل

---

[1]- البيت لأبي عمران موسى بن سالم القلعي، ابن سعيد، المصدر السابق، ص201.

[2]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص267.

[3]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص39.

[4]- أخرجه الترمذي، في كتاب فضائل القرآن، باب دعاء أم سلمه، من جامعه الكبير، ج5، ص544، رقم الحديث 3590.

[5]- سورة الأعراف، آية 29، ص158.

[6]- أخرجه البخاري، في كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، من جامعه الصحيح، ص510، رقم الحديث 41.

[7]- الجرجاني، المصدر السابق، ص215.

الفلاح إلا بهما، فهما، تعريف ما لم نعلمه من الحق وجعلنا مريدين لأتباعه، ثم خلق القدرة لنا على القيام بموجب الهدي بالقول والعمل، ثم إدامة ذلك لنا وتثبيتنا عليه[1] وقد ورد عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب أنه قال: "هُدِيَ مَن حَسُنَ إسْلاَمُهُ، وَخَلُصَ إيمَانُه، وَشعَر قَلبَهُ بِالتَّقْوَى وَتَجَلبَبَ بِجِلْبَابِ الدِّين"[2] غير أن الإنسان لا يقدر أن يهدي أحد إلا بالدعاء[3].

والهداية هي ثمار للعمل الصالح الذي أرشدت إليه المدونة الأدبية مجتمع الغرب الإسلامي ومن بينهم أبو الربيع الذي قال ناصحًا:

يَا نَفسُ حَسبَكِ مَا فرَّطت فَازْدَجِري ... عن الذُنُوب فَإن القَبر مثواك

خَافِي الإله لِما قَدَّمْتِ مِن زلَلٍ ... وَأعْصِي هَواكِ فإنَّ الله يَرَاكِ

تُوبِي إلى الله إنَّ الله يَقبلُهَا ... وَاسْعَي بِجهدِكِ فِي تَحْسينِ عُقْبَاكِ[4]

وأرشد ابن الابار إلى الهداية بقوله:

وَانْظر إليه مُسالمًا وُمحَارِبًا ... تَجدُ الهدايةَ أُسْوةَ الإلهَام

سَيفُ الهُدَى أَودَى به سَيفُ الرَّدَى ... قَد يَفْتِكُ الصَمْصَامُ بِالصِمْصَامِ[5]

وابن حبوس الفاسي الذي قال عن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي الكومي (524- 558هـ) أن الهداية ظهرت في حكمه العادل:

بَلَغَ الزَّمانُ بِهديكُم مَا أَمَّلاَ ... وَتعلمَت أَيَّامُهُ أن تَعْدِلا

وبحسبهِ أن كَان شيئًا قَابِلاَ ... وَجدَ الهِدَايَةَ صُورَةً فَتشكَلاَ[6]

---

[1]- ابن القيم الجوزية، المصدر السابق، ص32.

[2]- ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي (ت 550هـ)، غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تح، عبد الحسن دهيني، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص400.

[3]- رحيم سلوم مرهون وعثمان خضير مزعل، «الهدآية الإلهية تعريفها، أنواعها، أسبابها، موانعها ثمرتها»، مجلة الدراسات الداخلية والحضارية، ع:15، كلية العلوم الإسلامية قسم أصول الدين، جامعة كريت – العراق، 2013، ص137.

[4]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص21.

[5]- ابن الابار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص276.

[6]- ابن حبوس، المصدر السابق، ص269.

وهنأ أحد الشعراء الساعين لنيل مرضات الله وهداه فقال:

طُوبَى لمن أَمسَى وقَد حَطَّ رِحلَه ُ بِسَاحَةِ بَابِ الهُدَى ليسَ يُغلَقُ[1]

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[2] فيهديهم الله بإيمانهم الخالص الصادق ويجازيهم أحسن الجزاء، وتكون الهداية بعد العمل الصالح والجهاد في سبيله قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[3]، والتوبة النصوحة قال الله: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾[4] والإيمان الصادق قال الهادي: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[5].

فيما نصح ابن حبوس بإتباع النبي صلى الله عليه وسلم ومنهجه، للتوفيق في الهداية فقال:

لذ بِالنَّبُوةِ واقتَبِس من نُورِهَا وَاسلُك على نَهجِ الهِدَايَةِ تَهْتَدِ

وَإذا رَأيتَ الصَادِرِينَ عَشِيةَ عن مَنهَلِ الدِّينِ الحَنِيفِ فَأَوْرِدِ[6]

لأن الله أمرنا به فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[7]. وقال صلى الله عليه وسلم: "أُوصِيكُم بِتقْوَى الله والسَّمْعَ والطاعة وإياكم ومُحدَثَاتِ الأُمُور فَإِنَّهَا ضَلاَلَة فَمَن أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنكُم فَعَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدين المَهْدِيين عَضُو عَلَيهَا بِالنَّواجِذ"[8].

ومن تقديس الشعراء للخفاء الموحدين أن وصفوهم بالمهتدين فقال أبو الربيع: في الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور بالله (ت 595هـ) ثالث الخلفاء ببلاد المغرب فأنشد في مدحه:

---

[1]- البيت لأبي محمد عبد الله بن محمد بن ذمام، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص104.

[2]- سورة يونس، آية 9، ص209.

[3]- سورة العنكبوت، آية 69، ص404.

[4]- سورة الرعد، آية 27، ص252.

[5]- سورة التغابن، آية 11، ص557.

[6]- ابن حبوس الفارسي، المصدر السابق، ص262.

[7]- سورة الحشر، آية 7، ص546.

[8]- أخرجه الترمذي، في كتاب الولاء والهبة، باب ما جاء في الأخذ بالسنة...، من جامعه الكبير، ص408، رقم الحديث2676.

إِنَّ الَّذي سَمَّاكَ خيرَ خَليفَةٍ جَعلَ الخِلاَفَةَ فِيكُم لاَ تُنْزَع
لَكُم الهُدَى لَم يُؤْتَهُ إِلاَّكُم ومَن اِدَّعَاهُ يَقُولُ مَالاَ يُسْمَع[1]

2- الاستقامة:

في إصلاح أهل الحقيقة: هي الوفاء بالعهود كلها، وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور الدينية والدنيوية، وقيل أنها مرور العبد في طريق العبودية بإرشاد الشرع والعقل[2] ولما سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة قال: «أَن لاَ تُشْرِكَ بِالله شَيء» وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعالب».

وقال عثمان ابن عفان رضي الله عنه: «استقاموا: أخلصوا العمل لله»[3].

من خلال التعريفات السابقة يتبين أن الاستقامة هي الثبات على طاعة الله واجتناب معاصيه بالاعتدال والتوسط في الأمور كلها.

والمدونة الأدبية وقفت على بعض من وجوه الاستقامة في الغرب الإسلامي ومن ذلك استقامة أبا زكريا في دينه وحرصه على عقيدته الإسلامية السمحة والتي أخبرنا بها ابن الأبار فقال:

حَرِيصًا عَلى الدِّينِ الحَنيفِ وَنصْرِه وَلَيْسَ على بِمُسْتَبْطِنٍ حِرْصًا

وعندما فتح أبا زكريا تلمسان وافتكها من يدي يغمراسن مؤسس الدولة الزيانية في 640هـ كان دافعه ديني وهو أن حكام تلمسان انتهكوا حرمت الإسلام ولم يقوموا بفرائضه وشعائره فقال ابن الأبار:

غَضِبْتَ لله تَسْتَرْعِي فَرَائِضَهُ فَجِئتَ تَرمِي بِسَهْمٍ لَيسَ يُخْطِئُهُ
وَقُمتَ للدِّينِ اِفصَاحًا لِنَصْرَتِهِ فَاسْتَحْقَرْتَ عِندَهَا الدُّنيَا تُهَنِّئُهُ[4]

---

[1]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص21.

[2]- الجرجاني، المصدر السابق، ص08.

[3]- ابن القيم الجوزية، المصدر السابق، ج2، ص108.

[4]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، (ص42، 54).

وفي القرآن الكريم جاءت الاستقامة بمعنى الدين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

وكانت الاستقامة عند الأمير أبي الربيع في عدله فقال:

لله قُبَةُ إيمَانٍ نُشِيدُهَـــــا مِن قُبَةِ كَإِبَّاةِ الشَّمْسِ بَيضـــَاء

بَنيتَهَا وَعمَادُ الحَق يَرفَعُهَا عَلَى أَسَاسَينِ مِن عَدْلٍ وَعليَاء[2]

فالاستقامة على طريق الحق تثمر عدلا في الدين والدنيا قال الله تعـــالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾[3].

وثبات ابن الجنان في قيمه تنبؤ عن ثقته بالله واستقامته فيما أمره فقال:

سَأَصبِر حَتّى يُنجِزَ الله وَعدَهُ وَلابُدَّ للرَّحْمَانِ أن يُنجِزَ الوَعْـــــــدَا

أَلَم يَعِدِ اللهُ الكَرِيمُ بِفَضْلـــــهِ مَع العُسْرِ يُسرًا يَنجحُ السَعْي وَالقَصْدَا[4]

فالاستقامة في أمر الله توسع الرزق قال تعالى: ﴿وَأَلَّو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا﴾[5] وقد أمرنا الله بالاستقامة فقال: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا﴾[6].

والاستقامة هي الاهتداء إلى الرشاد والابتعاد عن الضلالة وفي الوعظ بهـــا قـــال مرج الكحل (ت 634هـ):

يَا ذَا الَّذِي أَهدَى لنَا تُحفَ الهُدَى وأعَاد ذِكرَ الدِّينِ بَعدَ تَنـــاسٍ

فَلتشفهَا بَعدَ الضَّلاَلَةِ بِالهُـــــدَى أَنتَ الطَّيُبُ لَها وَأَنْت الآسِي[7]

---

[1]– سورة المؤمنون، آية 37، ص346.

[2]– أبو الربيع، المصدر السابق، ص33.

[3]– سورة الإسراء، آية 35، ص285.

[4]– ابن الجنان، المصدر السابق، ص79.

[5]– سورة الجن، آية 16، ص573.

[6]– سورة هود، آية 112، ص234.

[7]– محمد أبو عبد الله بن إدريس (ت 634هـ)، ديوان شعره، تح، البشير التهالي ورشيد كناني، ط1، مكتبة القـــراء للجميع للنشر والتوزيع، المغرب، 2009، ص80.

والصراط المستقيم هو التثبيت على الهداية قال سبحانه تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[1].

سادسًا- السخاء والكرم

1- السخاء:

هو عبارة عن بذل ما لا يحتاج إليه لمحتاج أو لغير محتاج[2]، وهو نفسه الجود بما لدى الإنسان على الناس[3]، بإعطاء ما ينبغي لمن ينبغي[4]، وهو فعل مستحسن ما لم ينتهي إلى الإسراف والتبذير، ومن بذل ملكه لمن لا يستحقه لا يسمى سخاء بل تبذير[5] والسخي يحس بالرضا لما يراه من سعادة المحتاجين.

إن المدونة الأدبية بينت أن الغرب الإسلامي كان سخيا معطاء كثير الجود في الفترة الموحدية وقد استقى هذه الفضيلة من عقيدته الإسلامية فالجواد هو الله وأخبرنا ابن الأبار أنهم كانوا يدعون الله باسمه الجواد فقال من دعاء أحدهم:

يَا ربُّ فاجزِ ابن زُهْرٍ عن تَعَسُفِهِ وَاغْفِر لِدَاودَ يا ذا الفضْلِ والجُود

وأحد القضاة عندما رأى أخاه واقفا على قبر أبيه أمره أن يستغفر رب الجود والكرم فقال:

يَا أيُّهَا الواقفُ استغفر لمُودَعِهِ ربَّ العِبادِ ورَبُّ الجُودِ وَالكَرَمِ[6]

والله تعالى يحب الجود وأكد ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الله جَوادٌ يُحِبُ الجُودَ، ويُحِبُ مَعَالِي الأَخْلاَق"[7].

---

[1]- سورة الفتح، آية 2، ص54.

[2]- ليلى سوراني وآخرون، المرجع السابق، ص41.

[3]- عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص218.

[4]- عبد الحميد صالح حمدان، المرجع السابق، ص192.

[5]- الحسين أبو القاسم بن محمد الراغب الأصفهاني (ت 503هـ)،معجم مفردات القرآن، تح، صفوان عدنان الداودي، ط4، دار القلم، بيروت، 2015، ص192.

[6]- البيت لأبي القاسم عبد الرحمان بن عمر بن عذرة الأنصاري القاضي، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص146.

[7]- أخرجه الألباني، في جامعه الصغير وزيادته، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988، ص370، ج1، رقم الحديث 1800.

وأخبرنا الجراوي عمن تغنى بجود النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

يَا من تخيرهُ الإلهُ لِخلقِـــــهِ وَحباهُ بِالخُلُقِ الزَّكِي الطَّــاهِرِ

أَنت النَّبِي وَخيرُ عُصبةِ آدم يا من يجودُ كَفيضِ بحرٍ زَاخِرِ[1]

فالرسول هو المثل الأعلى في والجود ذلك أنه قال: "لَو كَان لِي مِثْلُ أُحد ذَهبًا مَا يَسُرُنِي أَن لاَ يَمُرَ عَليَّ ثَلاَث، وَعِنْدِي منهُ شَيءٌ إلا شَيءٌ أرْصُدُهُ لِدِين"[2].

وما ميز السخاء في الغرب الإسلامي أنه كان خـــالص لوجـــه الله ولهـــذا أورد الجراوي ما قاله أحد الشعراء:

أنتَ الجوادَ بِلا مَنٍ ولا كذِبٍ ولا مِطالٍ ولا وعدٍ ولا مذَلِ[3]

والله سبحانه وتعالى نهى عن الرياء والمن فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[4].

ومن صور السخاء التي ميزت الموحدين في الغرب الإسلامي وبذَّت فيه المدونة الأدبية هو السخاء بالنفس فقال ابن صقلاب (ت 619هـ)[5]:

وَمنهُم جَوادُ النَّفسِ لو سِيلَ نَفسَهُ لَكانَ بها طلقُ الجَبينِ يَجُود

فَذَاكَ الَّذي تَبقَى مَآثِرُهُ مَجَـــــدَهُ وَآثارُهَا في العَالَمِينَ شُهُودُ[6]

ونقل الجراوي عن أحد الشعراء في ذات السياق:

تَجودُ بِالنَّفْسِ إذا ظنَّ الجَوادُ لها [والجُودُ] بِالنَّفسِ أَقْصَى غَايةِ الجُودِ[7]

وقد وعد الله تعالى هؤلاء بالجنة فقال: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[8].

---

[1]- البيتين لجنَاب الكلبي، الجراوي، المصدر السابق، ص88.

[2]- أخرجه البخاري، في كتاب الاستقراض، باب أداء الديون، من جامعه الصحيح، ص575، رقم الحديث 2389.

[3]- البيت لأبي الطيب المتنبي، الجراوي، المصدر السابق، ص456.

[4]- سورة البقرة، آية 264، ص44.

[5]- أبو بكر يزيد بن محمد بن صقلاب، كاتب من أهل المرية، صاحب إبداع في قواف وأسجاع مع سراوة وسخاوة، توفي سنة تسع عشر وستمائة، ينظر، ابن الابار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص178.

[6]- المصدر نفسه، ص179.

[7]- البيت لصريع الغواني، الجراوي، المصدر السابق، ص244.

[8]- سورة التوبة، آية 111، ص204.

وكان السخاء من القيم التي لهج بها الشعراء في فخرهم ومدحهم فالسادة في الدنيا الأسخياء وسادتهم في الآخرة الأنبياء لذا عُدّ قيمة عليا ومن الفضائل التي يجب توفرها في الملوك والخلفاء[1] وعلى هذا الأساس تغنى ابن الأبار بسخاء أبا زكريا الحفصي فقال:

ومِن قَبْل مَا سْتَسْقَتْك أندلسُ فلَم تَجد جُودكَ الفياضَ غيضًا ولا بَرْضاً
أجَاد مؤيدًا في كل عليا وجَاد بما الغَمَامُ بهِ بَخِيل[2]

كما أنشد الأمير أبو الربيع في سخاء أخيه الأمير أبو حفص فقال:

أحقًا أبا حفص المُجْتَبى إلى جَدَثٍ شَخْصُهُ أسلَمَا
ومن ذا يَجودُ على مَعشرٍ ويلبسُ ثَوبَ الغِنَى المُعْدَمَا[3]

وكتب أحد الشعراء مفتخرا بسخاء الخليفة فقال:

وَطفقَ الخيرَ مقيمًا بهِ ولا دنَا الشَرُ لقُطَانِهِ
أَمَالُنَا في غيرهِ والَّذي جَاد بهِ فالجودُ من شَانهِ[4]

وعن جزاء الأسخياء قال ابن قزمان (ت 555هـ)[5]:

وَمن غرَست يدَاهُ ثمارَ جُودٍ ففي ظِلِّ الثَناءِ لَهُ مُقيمُ
كَثيرُ المالِ تبذلهُ فيفنَى وقد يبقَى من الذِّكْرِ القَلِيل[6]

وقال رسول الله صلى عليه وسلم: "السَّخَاءُ شَجرةٌ من شَجَرِ الجَنَّة أَغصَانُهَا مُتَدلِيَّةٌ عَلى الأَرْض فَمن أَخَذَ مِنْها غُصْنًا قَادَهُ ذَلك الغُصْنُ إلى الجَنَّة"[7].

وقال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[8].

---

[1]- يوسف شحدت الكحلوت، المرجع السابق، ص310.

[2]- ابن الأبار، المصدر السابق، الديوان، ص361.

[3]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص42.

[4]- البيتين لأبي عثمان سعيد بن حكم، ابن سعيد، المصدر السابق، ص38.

[5]- أبوبكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان القرطبي، المتفرد بإبداع الزجل، توفي سنة أربع وخمسين وخمسمائة، ينظر، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص56.

[6]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص297.

[7]- أخرجه الألباني، في جامعه الصغير، ص869، رقم الحديث 4787.

[8]- سورة الأنفال، آية 36، ص181.

2- الكرم:

الكرم من الله تعالى إحسانه وإنعامه على الموجودات، ومن الإنسان بمعنى النيل لما ينبغي البذل له، ومن الأشياء بمعنى أنها الأشرف في بابها أو الأنفس والأكثر نفعا وعطاء[1]، والكريم هو من يعطي بسهولة ويوصل النفع بلا عِوض[2] فمن وهب ماله لجلب نفع أو دفع ضر أو خلاص من ذم ليس كريم[3].

إن من أهم القيم السائدة في بوادي المغرب والأندلس الكرم الذي تأصل بفضل مقاصده عقيدتهم الإسلامية الرامية إلى ذلك فالله هو أهل الكرم يقول ابن الربيع المغربي:

أيَا خيرَ من مدَّ العُفاةَ أَكُفَّهُم ... إليهِ ويَا أهْلَ النَّدَى والتَّكُرُمِ

وسَلْهُ الَّذي شِئْتَ من فَضْلِهِ ... فالله أَكْرَمُ مَن يُسْـــــأَلُ[4]

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَم"[5].

واتخذ أهل الغرب الإسلامي مثلهم في الكرم وهو النبي عليه الصلاة والسلام وأورد الجراوي لأحد الشعراء في هذا المقام:

صَلَّى الإلهُ على ابنِ آمِنَـةٍ ... الَّذِي جَاءَت بِهِ بَسِيطُ البَنَانِ كَرِيمًا

وَفِي عِطَافَيْهِ أو أثنَاءَ بُرْدَتِهِ ... مَا يعلَمُ الله مِن دِينٍ وَمِن كَـرَمٍ[6]

ومن غنى النفس وتقواها وقناعتها يأتي الكرم قال رسول الله: "إِنَّمَا الْكَرَمُ قَلْبُ المُؤْمِن"[7].

---

[1]- ليلى سوراني وآخرون، المرجع السابق، ص61.

[2]- الجرجاني، المصدر السابق، ص154.

[3]- المناوي، المصدر السابق، ص156.

[4]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص156.

[5]- أخرجه الألباني،في جامعه الصغير، ص359، رقم الحديث 1742.

[6]- البيت لحسان بن ثابت، الجراوي، المصدر السابق، ص60.

[7]- أخرجه البخاري، في كتاب الأدب، باب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الكرم قلب المؤمن، من جامعه الصحيح، ص1543، رقم الحديث 6183.

وشيمة إكرام الضيف ميزت بوادي المغرب والأندلس وتغنى بها عديد الشعراء فقال أحدهم:

جَمَعْتُ لِلنَّاسِ بَينَ الرَيِّ والشَبَعِ فَهُم بِأخْصَبِ مُصْطَافٍ وَمُرْتَبِعِ
ولم تَدَع كَرماً إلا أتيتَ بِـــه تُضَيفُ مُبتدعًا مِنه لِمُبْتَـــدِعِ[1]

وابن الأبار افتخر بكرم أهله في قصيدة، وصف فيها مأدبة فاخرة أقيمت لأحدهم فقال في ذلك:

وعُجِّلَ عِجْلٌ سُنَّةَ فَارِضُ القِرى حِنيذٍ وعَدْنَاهُ فما استَأخر الوَعْدَ
تَجَلَّى يَسُرُ النَّاظِرِينَ كَأَنَّمَـــا تَجَلَلَ رَقْرَاقَ العَبيرِ له جِلـــدُ
فلا وأَبِينَا ما أَبَينَا كَضَيفِـــــهِ تَنَاولَهُ بَل سَابِقُ الرَّاحَةِ الزِّنْـدُ[2]

ومن مظاهر الكرم في القرآن قولـه تعالـــى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾[3] وأمرنا الله بالكرم في عدة مواضيع نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ومَن كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِم ضَيفَه"[4].

وكثيرا ما كان الكرم مرتبطا بشخصيات الملوك والأمراء وذوي الشأن في مدن المغرب الإسلامي والأندلس في العصر الموحدي وهذا ما دلت عليه المدونة الأدبية الوسيطية حيث تغنى ابن سعيد بكرم خالد الناصر بن أبي زكريا(ت 713هـ) الملك الحفصي فقال:

بِاللهِ يا أَكرَمَ مَن قَـــد رَأَت عَيْنَاي بِالمَغْرِبِ وَالمَشْرِق
قَضَيتُ خَيرَ العُمْرِ في أرْضِكُم فَمَتِعُوا أَهْلِي بِمَا قَد بَقَـى[5]

ومدح ابن الأبار كرم الملوك الحفصين ومن ذلك قوله في أبا يحيا زكريا ولي العهد وأمير بجاية عندما التجأ إلى الحفصين سنة 636هـ.

---

[1]- البيتين لابن الأبار، ابن سعيد، المصدر السابق، ص195.

[2]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص160.

[3]- سورة الذاريات، آية 26، ص521.

[4]- أخرجه البخاري، في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، من جامعه الصحيح، ص1611، رقم الحديث 6475.

[5]- ابن سعيد، المصدر السابق، ص08.

مَلكٌ تَبَحْبَحَ في المكَارِمِ والعُلَى وتَقَيَلَ الإصْلاَحَ والإسَجَاحَـــا
رَكَبْتُ إلى الكَرَمِ الجُمُوحِ عِنَانَهُ سَلِسَ العِنَانِ وإن أسَرَ جِمَاحًا[1]

وقال ابن سهل في أحد الوزراء:

كَرِيمٌ إذا ما عَمَّرَ الوَعْدُ سَاعَـــة أُتِيح لَهُ مِنْهُ ابْتِسَامٌ يُعَاجِلُـــهُ
تَرَى فيه فيضُ النيلِ والبَدرُ كامِلاً إذا لاحَ مَرآهُ وجَادَت أَنامِلُه[2]

والله عليم بكل من تكرم في سبيله قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3] وقال صلى الله عليه وسلم: "اصْنَعِ المَعرُوفَ إلى مَن هُو أَهْلُهُ وإلى مَـــن لَـــيْسَ بِأهْلِه فَإن صَادَفَ أَهْلَهُ فَقَد أَصَبْتَ، وَإن لَم تُصِب أَهْلَهُ فَأنْتَ مِن أَهْلِهِ"[4].

[1]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص120.
[2]- ابن سهل، المصدر السابق، ص88.
[3]- سورة الحجرات، آية 13، ص517.
[4]- أخرجه الألباني، من جامعه الصغير، ص890، رقم الحديث 1085.

الفصل الثاني

قــيم التواصل الاجتماعي

أولاً- الرفق والرأفة

ثانيًا- العدل والإنصاف

ثالثًا- البــر والإحسان

رابعًا- الإنجاد والإجارة

خامسًا- الصفح والغفران

سادسًا- الشفاعة والإصلاح

قيم التواصل الاجتماعي تتمثل في بعض أشكال السلوك والقواعد الأخلاقية التي وجهت مشاعر الناس وتصرفاتهم واختياراتهم، وحددت مواقفهم في بعض الأمور الحياتية ونظمت علاقاتهم بالواقع وبالآخرين، ورصدت المدونة الأدبية أهم القيم الاجتماعية السائدة في الغرب الإسلامي خلال القرنين السادس والسابع هجري ذلك لأنها لامست مختلف شرائح المجتمع البدوي والحضري على حد سواء[1].

أولاً- الرفق والرأفة

1- الرفق:

وهو حسن لانقياد لما يؤدي إلى الجميل[2]، ويتطلب في الرفق واللين ترك العنف في الأقوال والأفعال مع الناس وبقية المخلوقات[3]، فالتواصل الاجتماعي يقتضي السهولة اللين، اللطف في التعامل، وما كان الرفق شيء إلا زانه ولذلك نجد أن الإسلام دعا إلى الترفق حتى مع الحيوان[4].

حرص مجتمع الغرب الإسلامي على ضرورة التحلي بالرفق في تواصلهم وقد كانوا يتناصحون ويحثون بعضهم على امتثالها، وفي خطاب الرفق لابن الآبار قال:

أَيا قَمَرٌ رِفقًا عَلى القلبِ إنَّهُ سَقِيمٌ ضَعِيفٌ لَيس يَحْتَمِلُ الصَدَا[5]

كما دعا الأمير أبي الربيع القلب إلى الترفق فقال:

وَنَادَيتُهُ يَا قَلْبُ رِفقًا فقالَ لي حَنَانَيْكَ إِنِّي نَحْوَهُنَّ أَسِيُر[6]

ونهى ابن الأبار عن قساوة القلوب فقال:

قَسَوتُم عَليهِ وقَد آن أن تُلِينُوا قُلوبًا لِحِرَان صَالَ[7]

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع- الذهنيات- الأولياء، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993، ص119.

[2]- المناوي، المصدر السابق، ص179.

[3]- ليلى سوراني وآخرون، المرجع السابق، ص40.

[4]- خالد الخراز، المرجع السابق، ص316.

[5]- الأبيات لـ عبد الله بن محمد بن ذمام، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص106.

[6]- ابن الربيع، المصدر السابق، ص80.

[7]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص238.

فالرفق واللين يفتح مغاليق القلوب، لا بالعنف والشدة وحيث قال الله: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[1]، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة بالرفق ونهاها عن العنف فقال: "مَهْلاً يَا عَائِشَة عَلَيكِ بِالرِّفْق، وَإِيَاكِ والعُنْف أو الفُحْش"[2].

وتلطف أهل المغرب الإسلامي في أفعالهم لمّا راو لطف خالقهم مع خلقه وقال ابن دحية:

حُكْمٌ مِن التَدبيرِ أعْجَزَتِ الورَى ... وَرَأى لهَا المَخلوقُ لطفَ الخَالِق[3]

ومن لطف الله مع عباده أن جعل لهم من كل ضيق فرجا ومن كل هم مخرجا ولذلك كان أهل الأندلس يدعون الله باسمه اللطيف فقال ابن الجنان:

وَدِينِي بِتَقْوَى الله يَجعلُ لُطْفَهُ ... لكَ الله مِن كُلِّ المَضَايقِ مَخْرجَا

فمَا زَالَ لُطفُ الله يُفْرِجُ أَزْمَةً ... إذَا اسْتَصْعَبَت عَقْدًا أو اسْتَحْكَمْت شَدًا

فيَا من لهُ الأَلْطَافُ تَأتِي خِفْيَةً ... تُدَارِكُ بِرُحْمَاهَا وَمَنْتَهَا العَبْدَا[4]

وأخبرنا رسول الله عن رفق الله فقال: "إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُعْطِي عَلى الرِفْق مَالاَ يُعْطِي عَلى العُنْف"[5].

وكان ولاة الأمور في الغرب الإسلامي يُسيسون شؤون رعيتهم برفق قال الجراوي:

وَقد أَمَّنتُ وَحْشَهُم بِرفْقٍ ... ويُعيي النَّاسَ وحشُكَ أن يُصَادَ

وقال رسول الله: "ومَن وليَّ مِن أمْرِ أُمَّتِي شَيئًا فَرَفَقَ بِهِم فَأَرْفِق بِهِ"[6].

كما تواصل أهل الغرب الإسلامي برفق مع ولاتهم ففي سنة 646هـ كان الملك أبا زكريا الحفصي غاضبا من ابن الأبار الذي كان في بجاية فأنشد يستعطفه قائلا:

إنَّ الإمَامَ الهَادِي المُرتَضَى ... أَكَدَّ بِالعَطْفِ شُروطَ السَمَاح

لَينَ السَجَايَا عَاطِرةٌ كَمَا ... هَزَّ الرَيَاحِين هُبُوبَ الرِّيَاح[7]

---

[1]- سورة طه، آية 43، ص314.

[2]- أخرجه البخاري، في كتاب الاستئذان، باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام، ص1562، رقم الحديث 6256.

[3]- ابن دحية، المصدر السابق، ص176.

[4]- ابن الجنان، المصدر السابق، ص80.

[5]- أخرجه مسلم، في كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق، من صحيحه، ص2004، رقم الحديث 2593.

[6]- أخرجه مسلم، في كتاب الإمارة، باب فضل الإمام العادل...، ص1458، رقم الحديث 1828.

[7]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص135.

وقد استشهد الجراوي على ذلك بأبيات لأحد الشعراء الذي قال:

تَرفَّق أيُّها المولَى عَليهم فإنَّ الرِّفْقَ بِالجَانِي عِتَاب[1]

ويقتضي التواصل الاجتماعي الرفق واليسر والموعظة الحسنة قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2].

وفي مدح بعض الرموز الذين ميز الرفق أفعالهم وأقوالهم قال ابن الأبار عن أبو زكريا يحيا بن حفص(626 -647هـ):

كَأَنَّ يحيَا الرِضَا آلت إِيَالَتُه أن يَشمَلَ الخَلْقَ مِنهم الرِّفْقَ واللُّطْف[3]

واستأنس الجراوي بما قاله المتنبي الذي كتب:

يَطأُ الثَّرَى مُترفِقًا من تَيهِهِ فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجُسُ عَلِيلاَ[4]

فالمشي بترفق يسهل التعامل قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[5].

وهناك حكمة من الرفق نقلها لنا الجراوي عن أحد الشعراء الذي قال:

الرِّفقُ يُمنٌ والأنَاةُ سَعَادَة فَاستَأْنِي في رِفقٍ تُلاَق نَجَاحَا[6]

فالخير كل الخير يحصل بالرفق قال رسول الله عليه السلام: "مَن أُعْطِي حَظَّهُ فِي الرِّفق فَقَد أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَير"[7].

وقال أيضا "ألاَ أُخبركُم بِمَن يُحْرُمُ على النَّار أو بِمَن تَحْرَمُ عَليهِ النَّار؟ تَحْرَمُ علَى كُلِّ قَرِيبٍ هَينٍ لَينٍ سَهْلٍ"[8].

---

[1]- البيت لابي الطيب المتنبي، الجراوي، المصدر السابق، ص 552.

[2]- سورة النحل، آية 125، ص281.

[3]- ابن الابار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص387.

[4]- الجراوي، المصدر السابق، ص496.

[5]- سورة الفرقان، آية 63، ص365.

[6]- البيت للنابغة الذبياني، الجراوي، المصدر نفسه، ص1244.

[7]- أخرجه الترمذي، في كتاب الأحكام والوصايا، باب ما جاء في الرفق، في جامعه الكبير،ج3، ص541، رقم الحديث 2013.

[8]- أخرجه الترمذي، في كتاب الولاء والهبة- الأمثال، ج4، ص2656، رقم الحديث 2488.

2- الرأفة:

هي أرق وألطف الرحمة وذات الصلة بالراحم، أما الرحمة فهي تعم من لا صلة له بالرحم وهي عطف العاطف على كل ذي صلة به[1]، وكل الفضائل التي يتعدى نفعها للآخرين هي من فروع الرأفة أو مدفوعة من قبلها أو موجهة منها ومن رأفة الرسول صلى الله عليه وسلم متشاركة للآلام المسلمين وحرصه على جلب كل خير لهم ويرفع عنهم كل ما يؤذيهم[2].

إن الرأفة من صفات الله تعالى والتي شدت إليها الأدباء الموحدين فتغنوا بها وهذا ابن الأبار وثق بالرحمان فوسعته رحمته فقال:

سَميتَ نفسكَ رحمَانًا فقدً وَثِقْتُ نَفْسِي بَأنكَ يا رحمَان تَرحَمُني[3]

فالرؤوف والرحيم صفات ثابتة لله تعالى في كتابه قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّه رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[4]

ولذلك كان المسلمين في المغرب الإسلامي أيام الموحدين يكثرون من دعائهم بالرحمة وأورد الجراوي من ذلك فقال:

فَاغفر فِدى لك والِدايَّ كلاهُما وارحَم فإنكَ رَاحَمٌ مَرحُوم[5]

والزهاد في المغرب الإسلامي أيضا كانوا يتناصحون بالرحمة ويرجونها من الله قال أبو الربيع:

فعُد عن ذِكرِ الصبَا جَانِبًا وَأرْجو الَّذي تَأمَلُ رُحمَاه

في يومٍ لا قوةَ إلا بِهِ ويومٌ لا رَاحِمَ إلاهُ[6]

وكانوا يترحمون على أرواح مفقوديهم ويتمنوا أن يرأف الله بحالهم وأورد ابن سعيد قائلا:

رَحِم الله من لَعَنتُ قديمًا فلقد كان بي رؤوفًا رحيمَا[7]

---

[1]- المناوي، المصدر السابق، ص17.

[2]- عبد الرحمان حسن حنبكة، المرجع السابق، ص438.

[3]- الأبيات لـ أبي بكر محمد بن ولادة، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص38.

[4]- سورة النور، آية 20، ص351.

[5]- الأبيات لـ عبد الله بنُ الزبْعَر، الجراوي، المصدر السابق، ص82.

[6]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص151.

[7]- الأبيات لـ أبي المحامد القرطبي، ابن سعيد، المصدر السابق، ص212.

ومن أدعية الرحمة والرأفة الثابتة في كتاب الله قولـــه: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾[1]، وقال أيضا: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2] وكان في أهل المغرب الإسلامي الذين يزجرون القساة والظالمين ويحثونهم على الرأفـــة قال الجراوي:

ويلٌ لمن لم يرحَم الله ومَن تَـكُون الـنَّار مَثْـــوَاه[3]

ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لاَ تُنْزَعُ الرَّحْمَة إلاَّ من شَقِي"[4] وتوعدهم الله بالويل في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[5].

أما أدباء الأندلس فقد تغنوا برأفة النبي عليه السلام ومن ذلك قول ابن الجنان:

سَلامٌ على هذا الرحِيمٌ ورحمةٌ تُحْيِيه بالإحسَانِ مغْنَى ومُنْتَدَى[6]

فالرسول رحمة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[7] وقال: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[8].

وكثيرا ما أثنى أدباء الأندلس على رأفة حكـــام أمـــراء والســـلاطين الموحـــدين ورحمتهم حد القداسة ومن ذلك قول ابن الأبار في رحمة أبي زكريا:

سَأعتمدُ الأميرَ وهَـــل سِوى رُحمَاه مُعْتَمَـــدِ

إنما دولةُ يحيَا رحمةٌ للبرايَا وحيـــاةٌ للهُدَى[9]

---

[1]– سورة آل عمران، آية 8، ص50.

[2]– سورة الحشر، آية 10، ص547.

[3] – الأبيات لمحمد بن يسير، الجراوي، المصدر السابق، ص1452.

[4]– أخرجه أبو داوود، في كتاب الأدب، باب في الرحمة، من صحيح سننه، ط3، مكتبة المعـــارف للنشـــر والتوزيـــع، الرياض، 1989، ج3، ص 212، رقم الحديث 4942.

[5]– سورة الزمر، آية 22، ص461.

[6]– ابن الجنان، المصدر السابق، ص94.

[7]– سورة الأنبياء، آية 107، ص331.

[8]– سورة التوبة آية، 128، ص207.

[9]– ابن لأبار، ديوان شعره، الصدر السابق، ص172.

وذكر ابن الجنان أن أهل الأندلس كانوا يتذكرون رأفة الله ويرجون رحمته في رزاياهم فقال:

نَـــــــبكِي بكاءً ترحُمٍ كَبكَائِهِ ونقولُ ما يرضِي الإلهَ فنسعدُ
يارحمةَ الرَّحمانِ جودِي واسْكُبِي بَسَحَائِبٍ يرتَادُهُـــنَّ الأودُ[1]

وعن جزاء هؤلاء قال تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[2].

ثانيًا- العدل والإنصاف

1- العدل:

وهو الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط[3] وفي اصطلاح الفقهاء من اجتنب الكبائر ولم يصر على الصغائر[4] ويتحقق العدل بالكف عن الظلم، وإعطاء كل ذي حق حقه والسير في الأمور وفقا للشريعة الإسلامية[5]، ومنها فالعدل هو القسط للاستواء الأمور في مواضعها أوقاتها ووجوهها ومقاديرها من غير سرفٍ ولا تقصير ولا تقديم أو تأخير[6] وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «فِي العَدلِ صَلاَحُ البَرِيَةِ وسِعَتُهَا فمَن ضَاقَ عليهِ العَدلُ فالجورُ أضْيَق»[7].

إن الإسلام أرسى دعائم العدل في الغرب الإسلامي ولذلك استعرض الجراوي ما ورد في عدالة النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

إن الَّذي بعثَ النَّبي مُحَـــمَـــدًا جعلَ الخِلافَةَ فِي الإمَامِ العَادِلِ
قَد نالَ عَدلكَ من أقَامَ بِأرْضِنَا فَإليكَ حَاجَةُ كُلَّ وَاحِدٍ رَاحِـــلِ
لحَقُ مَنطقُهُ والعَدلُ سِيرَتُـــهُ فمَن يُجبْهُ إليهِ ينْجُ مِن تَبَـــبٍ[8]

---

[1]- ابن الجنان، المصدر السابق، ص98.
[2]- سورة البقرة ، آية 257، ص43.
[3]- الجرجاني، المصدر السابق ص124.
[4]- المناوي، المصدر السابق، ص237.
[5]- الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص249.
[6]- الجاحظ، المصدر السابق، ص28.
[7]- عبد الواحد ناصح الدين، المصدر السابق، ص272.
[8]- الأبيات لجرير بن الخطفى، الجراوي، المصدر السابق، ص183.

وأقر النبي في القرآن الكريم أنه مأمور بالعدل قال تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[1] كما أمرنا الله بالعدل فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[2].

وذكرت المدونة الأدبية الوسيطية عدة مجالات للعدل، الذي حقق التكافل الاجتماعي للغرب الإسلامي من خلال رموز الدولة الموحدية الذين أسهبت في الثناء على عدلهم وافتخر ابن الأبار بمنجزات أبا زكريا الحفصي وأولاده لبث العدل في المغرب الإسلامي حيث قضى على الكفار وظلمهم فقال:

قُبضَت أيدِي الكُفَارُ بِهِ لَمَّا بُسطَت فِيهِم يَدُه
مَا أوْفَدَهُ العُدْوَانُ غَــدَا يُطْفِيهِ العَدْلُ ويُخْمِدُهَ

كما فتح المغرب الأقصى ووسعه عدلا قال ابن الأبار:

هَو الفتحُ أدْنَى حَوزَه المغربَ الأقصى عن الصولِ يُستقْصَى وبِالعدلِ يُستقضَى
كَأنِي والزَّورَاءُ تخْطُبُ أَمْنَــــــهُ وَقد بَث في مَرَاكِش العدلَ والأمنَـــا

واتسم حكمه بالمساواة والعدل بين الناس أخبرنا بذلك ابن الأبار:

تَحْجُبُ في بيتِ الحُكومَة قَاسِطٌ وَواكْفُ عَدلٍ في القضَا هَائنٌ الرَّعْدِ[3]

وأمر الله تعالى بالعدل في الحكم فقال: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[4].

وكثير من الشعراء تغنوا بالعدل الذي حققه ونشره الخلفاء الموحدين فعن عدالة الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي (524 – 558هـ) فقال ابن الحبوس:

أمِيرُ المؤمِنينَ لقد أضاءَ الزمانُ بنورِ عدلكَ واستَنَــــارَ
بلغَ الزمَانُ بْهَديكُم مَا أَمَــــلاَّ وَتعلمَت أيَّامُه أن تَعدِلا[5]

---

[1]– سورة الشورى، آية 15، ص480.

[2]– سورة النساء، أيه 135، ص100.

[3]– ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، (ص166، 312، 498).

[4]– سورة النساء، آية 58، ص87.

[5]– ابن حبوس، المصدر السابق، ص263.

والخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور(580 – 595هـ) حقق العدل بنشر الأمن وإصلاح الفساد أخبر بذلك أحد الشعراء فقال:

بِعدلِ أَبِي يعقوبَ يأمَنُ خَائِفٌ ويُجْبَرُ مُنْهَاضٌ ويَصْلُحُ فَاسِدٌ[1]

فهو مطيع لما أمره الله تعالى الذي قال: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[2].

وأضاف أبو الربيع في عدل قتاله وجهاده في معركة الأرك 591هـ قائلا:

وَالسَّيفُ أعدلَ حَاكِمٍ فقضَى لِهـذِهِ أن تُصَانَ وهَذِهِ أن تُسْفَكَا[3]

فالعدل يقتضي القصاص في العقاب قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾[4]

وفي نص كتبه ابن دحية حول عدل السلطان محمد بن يوسف المتوكل على الله (ت 620هـ) قال: «وأما عدله فشاع في بلاده وذاع وملأ الأصقاع والبقاع...» وترنم ابن دحية بعدل السلطان الموحدي أبو محمد عبد الله الناصر(595-610هـ) فقال:

وَالعدلَ بالمَلِكِ الهُمَامَ مُحمدٍ بَادِي المَنَار لِكُلِ من يَتَظَلَم[5]

فأمتثل لأمر ربه عز وجل الذي قال: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[6] وبشر الله ورسوله كل من أقام العدل بأحسن الجزاء ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنَّ المَقْسِطِينَ يومَ القِيَامَة عَلى مَنَابِرَ مِن نُور، عَن يَمِينِ الرَّحْمَان"[7] ثم قال: "سَبْعٌ يُظِلُهُم الله تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَومَ لاَ ظِلَ إلاَ ظِلُه: إِمَامٌ عَادِلٌ..."[8].

---

[1]- البيت لابن حربون، عبد المالك بن صاحب الصلاة (ت 594هـ)، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلسي في عهد الموحدين، تح، عبد الهادي التازي، ط6، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987، ص177.

[2]- سورة الحجرات، آية 9، ص516.

[3]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص28.

[4]- سورة النحل، آية 126، ص281.

[5]- ابن دحية، المصدر السابق، (ص3، 18).

[6]- سورة ص، آية 26، ص 454.

[7]- أخرجه مسلم، في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، من صحيحه، ص1458، رقم الحديث 1827.

[8]- أخرجه البخاري، في كتاب الآذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، من جامعه الصحيح، ص165، رقم الحديث 659.

ولفت انتباه ابن الأبار العدل في الموت فأورد في تحفته قائلا:

لَقد عَدَلَ المَوتَ بيْنَ الورَى فَأَوْدَى بِسَيِّدِهِم والمَسْودَ[1]

فظهر عدل الله في كل شيء قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾[2]. وكثيرا ما يتوافق العدل مع الإحسان ولما تحلى بهم أحد أمراء بلنسية قال فيه ابن الأبار:

صَلاةٌ وصومٌ واحتسابٌ وخشيةٌ وعدلٌ وإحسانٌ لهَا الغَزو سَابِعُ[3]

كما ورد توافقهما في أمر الله حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[4].

وكتب أبو الربيع لغز في شيء يحمل أسمى معاني العدل فقال:

ومَا حاكِمٌ يَرضَي الأمَـــــان ولَيسَ لهُ عَقْلٌ ولاَ هوَ أحمَـــقُ

يُصَدِّقُهُ الخَصْمَان إذا كان عدلاً وإن جَار في أحكامهِ لا يَصْدُق[5]

وحله هو الميزان الذي قال فيه الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى...﴾[6].

وقال أيضا: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[7].

2- الإنصاف:

هو تناصف النفع والضرر في العلاقات الاجتماعية، وفي التحكيم مراعـــاة حقـــوق الجانبين، ويقول المنصف بتساوي الحقوق وتقسيم مزايا الحياة بينه وبين الناس ويحصـــل الإنصاف عندما ترضى للناس وتحب لهم ما تحب وترضى لنفسك وتكره لهم مـــا تكـــره لنفسك[8] وهو والعدل توأمان نتيجتهما علو الهمة وبراءة الذمة باكتساب الفضائل واجتنـــاب الرذائل[9].

---

[1]- البيت لـــ محمد بن طالب المالقي، ابن الأبار، المصدر السابق، تحفة القادم، ص139.

[2]- سورة الأنعام، آية 115، ص142.

[3]- ابن الأبار، المصدر السابق، الديوان، ص375.

[4]- سورة النحل، آية 90، ص277.

[5]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص123.

[6]- سورة النحل، آية 90، ص277.

[7]- سورة الأنعام، آية 152، ص149.

[8]- المناوي، المصدر السابق، ص65.

[9]- ليلي سوراني وآخرون، المرجع السابق، ص18.

المدونة الأدبية الوسيطية أوضحت أن الإنصاف قوام مجتمع الغرب الإسلامي الموحدي لذلك افتخر الجراوي بإنصاف دولته فنقل لنا في من أحد الشعراء قائلا:

لنَا الدولةُ الغرَاء مَازَالَ عِندَهَا مِن الجُور واقٍ أو من الظلمِ مُنصِفِ[1]

وعم دولته الإنصاف لما أطاعوا الله عندما أمرهم بالعدل اجتناب الظلم قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[2].

وافتخر ابن سعيد بمن شهد على إنصافه في نص له قال فيه: «.....قلت له يا سيدي هذا والله السحر الحلال! وما سمعت من شعراء عصرنا مثله، فبالله إلا ما زادتني هذا النمط فقال لله در أبيك مِنْ منصف ابن منصف! ... »[3] وأمر الله بالعدل في الشهادة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾[4].

كما اعترف أحد الشعراء بإنصاف ابن سعيد في رسالة بعث بها إلى أحد الثوار بمرسية قال فيها: «.... وأقول قول منصف لا محاب.... كان في معظم عمره ناسكا وسبيل البر والتقوى سالكا، زكى النفس على الهمة..»[5] ولهذا كان فالمنصف مقرب من ربه قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[6].

ولذلك نقل لنا الجراوي من أحد الشعراء ناصحا بضرورة الإنصاف فقال:

وَاعمل بنُصحٍ وقَدِّم صالَحًا وأورِد خيرًا وعاشِر بإنْصَاف وقل حُسْنًا[7]

وضرب التطيلي مثلا في الإنصاف الذي تحلى به حتى مع مولاه الجائر فقال:

حَكمتُ مَولى جَارَ في حُكمِهِ أُكَنِي به لا مُفصِحًا بِاسمِهِ

فَأعْجَبُ لإنْصَافِي على ظُلمِهِ وأسْألهُ عن وصلِي وعن حَرَمِهِ[8]

---

[1]- البيت للشريف الرضي، الجراوي، المصدر السابق ص761.

[2]- سورة الأنعام، آية 152، ص149.

[3]- ابن سعيد، المصدر السابق، ص141.

[4]- سورة النساء، آية 155، ص100.

[5]- النص لأبي المطرف أحمد بن عبد الله، ابن سعيد، المصدر السابق، ص45.

[6]- سورة الحجرات، آية 9، ص516.

[7]- البيت للأبي سهل الخشني، الجراوي، المصدر السابق، ص1294.

[8]- التطيلي، المصدر السابق، ص262.

وأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا النوع من الإنصاف فقال: "أَفضَلُ الجِهَادِ كَلِمَةَ عدلٍ عِنْدَ سُلطَانٍ جَائِرٍ أو أَمِيرٍ جَائِرٍ"[1].

وشاع في مجتمع الغرب الإسلامي عند تعرضهم للمصائب يتبرمون من ظلم الزمان وعدم إنصافه فعندما تعرضت بلنسيه للهزيمة في إحدى معاركها روى لنا ابن الأبار من أحد الشعراء:

مَن مُنصِفِي مِن زَمَنٍ جَائِر يُغلَبُ فيه الحَقُ بِالباطِل[2]

وكذلك أبو الربيع لم ينصفه الزمن حين رافقته المصائب فقال:

ولَو أنَّ الدهرَ ينصفُ شاكيًا لَفَرَّقَ مَا بيني وبين المَصائِبِ[3]

ومن الأمثال التي نقلها الجراوي والتي تفيد بأن قلة الإنصاف قاطعة صلة الرحم فقال:

ولَم تَزل قِلة الإنصَافِ قَاطعةٌ بين الرجَالِ وإن كَانوا ذَوي رَحِمٍ[4]

لذلك أنزل الله آياته ليستقيم الناس بالعدل والإنصاف قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[5].

ويوجد في المغرب الإسلامي من يمثل الإنصاف قولا وعملا ولذلك لما سمع ابن سعيد من أحد الشعراء وأدرك انه نقله عن غيره ونسبه لنفسه فأمره بالإنصاف وهذا نص حوارهما: «قلت تنصف أو تنصرف؟ فقال: ستجدني إن شاء الله من المنصفين.... »[6] وذلك طاعة لله الذي أمر بالعدل فقال: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[7]. وقال أيضا: ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ﴾[8].

---

[1]- أخرجه أبو داوود، في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، من صحيح سننه، ج3، ص37، رقم الحديث 4344.

[2]- البيت لـ أبي المطرف أحمد ابن عميرة المخزومي، ابن الأبار، المصدر السابق، تحفة القادم، ص215.

[3]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص61.

[4]- البيت لأبي فراس الحمداني، الجراوي، المصدر السابق، ص1280.

[5]- سورة الحديد، آية 25، ص54.

[6]- ابن سعيد، المصدر السابق، ص161.

[7]- سورة الشورى، آية 15، ص484.

[8]- سورة البقرة، آية 48، ص282.

ثالثًا- البر والإحسان

1- البر:

هو التوسع في فعل الخير ... ويقول بعضهم أن المراد هو إحسان الله وإنعامه .... وفي قول آخرين أن المراد به الجنة، وفي الآية: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ﴾ فالبر هو التقوى[1]، كما يشير إلى التوسع في الإحسان للوالدين قال تعالى: ﴿...وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: "بِرَّ أباكَ وأحْسِن صُحْبَتَه"[2] ويستعمل البر في الصدق لكونه بعض الخير المتوسع فيه[3].

إن البر قيمة مميزة تضمنت مجموعة الأخلاق التي أسهمت في تحقيق تكامل مجتمع الغرب الإسلامي الذي أعتمد نموذج مثالي في البر وهو النبي صلى الله عليه وسلم والذي أفاد بطرب الأرواح في رحاب هذه القيمة وهو ما ذكره الجواري من أحد الشعراء فقال:

جِئتنَا بِاليقينِ والصدقِ والبِّر وفي الصدقِ واليَقينِ سُرور[4]

ولهذا أشار النبي عليه الصلاة والسلام بأن: "البِّرُ حُسنُ الخُلُق"[5].

ولذلك شاع الغرب الإسلامي الحث على تمثيلها والنصح بها والإرشاد إليها فقال ابن الأبار:

وَادئَب على البِّرِ وَالتقوَى فَبابُهُمَا إلى السعادةِ مفتوحٌ لمن قَرَعَا
واحْرِص على نيلِ السعادَةِ جَاهِدًا بِالبِّرِ والتَقْوى فَنِعمَ النَائِلِ[6]

ونقل إلينا الجراوي من أحد الشعراء ناصحا بالبر ومحتكما إليه فقال:

لَيَعْلَمَنَّ النَّاسَ أن النُقى والبِّرَ كَانَا خيرَ ما يُذخرُ
الله أنجحُ مَا طلبتُ بِهِ والبِّرُ خَيرَ حقيبَةِ الرَّاحِلِ[7]

---

[1]- ليلي سوراني، المرجع السابق، (ص74،75).

[2]- خالد الخراز، المصر السابق، ص343.

[3]- المناوي، المصدر السابق، ص74.

[4]- البيت لـ عبد الله بن الزبير، الجراوي، المصدر السابق، ص80.

[5]- أخرجه مسلم، في كتاب البر والصلة والآداب، في صحيحه، ص1980، رقم الحديث 2553.

[6]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص377.

[7]- الأبيات لـ أبي العتاهية إسماعيل، الجراوي، المصدر السابق، ص1443.

ومن إرشاد الشريعة إلى البر قال تعالى: ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[1] ومما ينتظرهم من جزاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[2].

ومن مظاهر البر في الغرب الإسلامي في الفترة بين القرنين 6 و7 هـ البر بالضيف، فذكر ابن سعيد أن أحد الشعراء كتب في استضافته لأحد الفقهاء فقال:

أنْكرتُهُ عُرفاً ومن شيمَةِ الـــــــ إخْوَان للأضْيَافِ بِــرٌ جَزِيل

أَعَاننَا الله على واجِـــــــــبٍ من برِّكَ الفَرْضُ بِفِعْلٍ وَقِيــل

كما نقل لنا ابن سعيد نص في وصف إكرام وبر أحد الأدباء لـ أبي الربيع التيملي يقول فيه «.... رسولا على الحضرة العلية الإمامية الحفصية ....الشيخ أبو الربيع سليمان بن على التيملي.... فبالغ في إكرامه، ووالى عليه [أنواع] البر أيام مقامه، ثم كتب إليه متمما لمبرته ومكملا لمسرته:

لِقاءَ أبي الرَّبِيع أقَرَّ عَينِي وَأدْنَى لِي القَصِيِّ من الأَمَاني[3]

فالكرم في الضيافة من أعمال البر قال تعالى: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[4] وقال أيضا: ﴿لَن تَنَالُوْا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوْا مِمَّا تُحِبُّون﴾[5] وقال صلى الله عله وسلم: "لاَ يزيدُ في العُمْرِ إلاَّ البِّرِ..."[6].

ومن المظاهر السائدة أيضا البر باليمين والحلف وابن سهل أمر أحدهم ببر يمينه

يَا من حَلَفْتَ أن تَـــــزُو رُنِـــــــي فَبِرِّ الحَلْفَا[7]

وأشار أحد الشعراء أن أقصدوا أبا الفضل المبر بآليتي ويميني فقال:

أُمِّي أبَا الفَضلِ المُبِّرُ بِآلِيَتِى لأيَمَّننِّ أجلُّ بحرٍ جَواهرَا[8]

---

[1]– سورة المجادلة، آية 9، ص588.

[2]– سورة المطففين، آية 22، ص588.

[3]– البيتين لأبي عثمان سعيد بن حكم، ابن سعيد، المصدر السابق، (ص34، 35).

[4]– سورة عبس، آية 16، ص585.

[5]– سورة آل عمران، آية 92، ص62.

[6]– أخرجه الترمذي، في كتاب الولاء والرباء، باب ما جاء لا يَرُدُ القدر إلاَّ الدعاء، في جامعه الكبير، ج4، ص181، رقم الحديث 2139.

[7]– ابن سهل، المصدر السابق، ص58.

[8]– البيت لـ أبي الطيب المتنبي، الجراوي، المصر السابق، ص539.

ونهى الله عن يمين اللغو وأوجب البر بالحلف فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا...﴾[1].

وأثنت المدونة الأدبية على أعمال البر التي قام بها الحفصيين وفي مقدمتهم أبا زكريا أبر خالقه في عديد الأعمال قال ابن الأبار:

عُنيتَ بما يُعْنَى بِه كُلَّ خَاشعٍ فَلِلَه بَرٌّ مِنكَ للخَاشِعِ
صَلاةٌ وصومٌ واحتسابٌ وخشيةٌ وعدٌ واحتسابٌ لهَا العِزو سَابِع[2]

كما أثنى ابن الأبار على بره في استرداد الأندلس في 640هـ فقال:

نتائجُ مَولى قَدَّمَ البِّرَ والتُقى وأجْرَى إلى ما سَوف يَجزَى بِه الأجْرَا
إيالتُه فضلٌ علينَا ونِعمَة وعيشتهُ فينا هي النعمةُ الكُبرى

وأردف ابن الأبار من أعمال البر لأبا زكريا الحفصي فقال:

وَشَرى الحدائقَ بِالوَدَائِقِ مُوقِنَا أنَّ اقتناءَ البِّرَ ليسَ يبُور

كما أشار إلى بره في رثاءه للفقيه أبا الربيع فقال:

وَقاسمتُ في حملِ الرَزِيَةِ قَومَهَا وليسَ قسيمٌ البِّرِ غيرَ المُقَاسِمِ[3]

وأشار ابن يخلفتن إلى بر أصحاب رسول الله على سبيل الإقتداء بهم فقال:

أُولُو البِّرِ وَالتَقْوَى وَأَهْلُ الفَضَائِل عِصَابَةُ أَشفَاقٍ وَخَيْرُ نَائِل[4]

وأورد ابن دحية فيمن أثنى على بر سلطانه فقال:

ثَنى الله عِطفَيهِ وألَفَ شخصهَ على البِّرِ مُذْ شُدَت عَليه مَأزِرُه[5]

وبشر الله كل من حرص على أعمال البر فعلا كان أو قولا بأعظم الجزاء والبشائر حيث قال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[6].

---

[1]- سورة البقرة، آية 224، ص35.

[2]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص375.

[3]- المصدر نفسه، (ص214، 219، 291).

[4]- عبد الرحمان أبو زيد بن أحمد الفزازي بن أبو سعيد يخلفتن الأندلسي (ت 627هـ)، ديوان الوسائل المتقبلة، المطبعة الأدبية، بيروت، 1319، ص06.

[5]- البيت لأبي علي حسن بن رشيق، ابن دحية، المصدر السابق، ص63.

[6]- سورة الإنسان، آية 5، ص578.

يفوز الأبرار بأعلى وأسمى المراتب قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[1].

2- الإحسان:

وهو إسلام ظاهر يقيمه إيمان باطن، وإحسان الشيء عرفانه إتقانه[2] وتتمثل في كل قول أو فعل حسن وقد يحسن الإنسان بفكره كأن يفكر بالخير وينوي عمله[3]، وفي الشريعة فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَنْ تَعبُدَ الله كَأَنكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَم تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"[4] وللإحسان درجات أولها: الإحسان في القصد بتهذيبه علما، وثانيها الإحسان في الأحوال بمراعاتها وحفظها، وثالثها الإحسان في الوقت فلا تخلط بهمتك أحد وتجعل هجرتك إلى الحق سرمدا[5].

كانت معرفة الناس في الغرب الإسلامي بالإحسان تكتمل بترك كل قبيح وهو ما أفاد به الجراوي من أحد الشعراء الذي قال:

إنَّ لفِي زَمنٍ تَرَكَ القَبيح بهَ مَن أكثرِ النَّاسِ إحسانًا وإجمالاً[6]

فوعد الله كل من جاهد في سبيله أنه يكون معه قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[7].

لذلك حرصوا في دعائهم أن يحسن الله إليهم حسب ما قاله أحد الشعراء:

رَضيتُ بمَا قسمَ الله لِـي وأَمْرِي إلى خَالقِـي

كَما أحسنَ الله فيمَا مَضى كذلك يُحسن فيما بَقَـي[8]

---

[1]- سورة المطففين، آية 22، ص588.

[2]- المناوي، المصدر السابق، ص40.

[3]- ليلى سوراني وآخرون، المرجع السابق، ص12.

[4]- الجرجاني، المصدر السابق، ص13؛ أخرجه البخاري، في كتاب التفسير، باب إن الله عنده علم الساعة، في صحيحه الجامع، ص1200، رقم الحديث 4777.

[5]- ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ص480.

[6]- البيت لأبي الطيب المتنبي، الجراوي، المصدر السابق، ص545.

[7]- سورة العنكبوت، آية 69، ص404.

[8]- البيتين لأبي الحسن منصور بن إسماعيل التميمي، الجراوي، المصدر السابق، ص1273.

ولن يخيب الله من يدعوه قال الله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

ولما كان الإحسان يتحقق بطاعة الله والتزام أوامره فقد أوصى بالإحسان في ظل أداء فريضة الحج ابن يختلفن شاعر أندلسي من قرطبة كتب لأمراء المغرب (ت 621هـ) قال:

أحْسِن فقد فَارقْتَ كل إسَاءَةٍ مهلاً فأنتَ بعلْمِهِ مَعْلُوم[2]

وأورد الجراوي أن الناس كانوا يتنافسون في الإحسان فقال:

نَافِس المُحْسِنَ فِي إحْسَانِهِ فَسَيكْفيكَ سَناءُ عَمَلِه[3]

ذلك أن الله أمر بالإحسان فقال: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[4].

وهناك قيم أخرى ترافق الإحسان كالعدل أشادت المدونة الأدبية للغرب الإسلامي في مدحها لبعض الرموز الذين تحلو بها فقال ابن الأبار مفتخر بعدل وإحسان أبا زكريا في قصيدة هنأه فيها بفتح تلمسان:

إلى العَدْلِ والإحْسَانِ يَهدِي ويَهتدِي فتَأَتَمُّ بِالفارُوق منه ولا فَرقَا[5]

وفي رسالة كتبها ابن سعيد من نظم أحد الشعراء أشاد فيها بعدل وإحسان آل أبي حفص فقال: «دولة مباركة ... نهض بها آل أبي حفص فما آلو...إلى عدل وإحسان هما قوام نوع الإنسان...».

هذا وقد بالغ الأدباء في تقديس الحكام وتميزهم بالعدل ذلك أن الحكم في شؤون[6] الرعية يستدعي الإحسان إليهم والعدل بينهم ولهم في محمد صلى الله عليه وسلم الرمز المحتذَى قال يخلفتن:

---

[1]- سورة البقرة، آية 112، ص17.

[2]- البيت لابن يخلفتن، ابن الأبار، المصدر السابق، تحفة القادم، ص119.

[3]- البيت للأبي الأسود الدؤلي، الجراوي، المصدر السابق، ص1442.

[4]- سورة القصص، آية 77، ص394.

[5]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص396.

[6]- النص لابن الأبار، ابن سعيد، المصدر السابق، ص194.

لَقد قَسَّم الله السِيادَة في الأزَلِ لأحمَدَ والإحسَانَ في القَولِ والعَمَلِ
ولله مَا أسدَى ولله مـــا بَذل ثِمالَ اليتامَى والمسَاكِين لم يَـزَل[1]

والله تعالى أمر بذلك فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[2] وقال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3].

كما توافق الكرم مع الإحسان في بوادي المغرب فقال أحد الشعراء:

مِن بَوادِي الشِعرِ هَامَ هَوى فَفَؤادِي فيهِ لم يَهِـــــم
أصبَحْتُ أُولِى بِمَا نُسِبَـــت لِي من الإحسَانِ والكَرَمِ[4]

فوعد الله المحسنين بالجنة في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5].

رابعًا- الإنجاد والإجارة

1- الإنجاد:

هو عدم الجزع عند المخاوف وقيل الذب عن الجار والإقدام على الكريهـــة ويقـــال الشجاعة والشدة وسرعة الإغاثة[6]، والنجدة هي البأس والنصرة وفي حديث علي رضوان الله عليه قال: أ«ما بنو هاشم فأنجاد أمجاد أي أشداء شجعان»[7]، والإنجاد خلق نـــابع مـــن نفس صقلتها القيم وغذتها المبادئ وطبعتها الأخلاق جوهره إغاثـــة الملهـــوف ونصـــرة المظلوم وإعانة المؤمن[8].

إن الله تعالى مغيث الضعفاء ومنجد المضطرين وفارج همهم وكاشف كـــربهم وقـــد أدلى بذلك أحد الشعراء مستشهدا بقصص الأولين في تحفة ابن الأبار فقال:

---

[1]- ابن يخلفتن، المصدر السابق، ص21.
[2]- سورة النحل، آية 90، ص277.
[3]- سورة الإسراء، آية 53، ص287.
[4]- البيتين لأبي الحسن حازم بن حازم، ابن سعيد، المصر السابق، ص21.
[5]- سورة يونس، آية 26، ص212.
[6]- المناوي، المصر السابق، ص322.
[7]- ابن منظور، المصدر السابق،ج 10، ص418.
[8]- يوسف شحدت الكحلوت، المرجع السابق، ص330.

مُغيثُ أيوبَ والكافِي لِذِي النُّون يَحلنِي فرجاً بِالكاف والنُّـــون
كَم كُربةً من كُروبِ الدَّهْرِ فَرَّجَهَا عَنِّي ولم يَنكشِف وَجهِي لِمن دُونِي[1]

فالله سبحانه وتعالى لن يتخلى عن الضعيف والمضطر وكل من استنجد به قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[2] قال أيضا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[3] وأشار ابن يخلفتن إلى إنجاد النبي صلى الله عليه وسلم وإغاثته للمحتاج فقال:

بإنقاذِهِ ينجُو من الهَلَكِ من نَجـــا بِدَامِنةٍ للأبْصَار والْتَاحَ للحِجَـــا
هو الغوثُ يكفي إن أويتَ من التَوى هو الغيثُ يَنفِي عن مَواقعِهِ الطَوَى
فكَم واقعٌ نَجَّاهث من شِرْكِ الـرَدَى فَصَار وليًا بعدَ أن كَان فِي العِدا[4]

كما وعد الله ينصر رسله فقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾[5] وقال تعالى أيضا: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[6].

ولذلك كان الموحدين إذا أثقلتهم ذنوبهم استنجدوا بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك قول أبو الربيع:

وَمُوحِدِينَ وإن نَـــأوا حَملوا على النَأْيِ الذُنُـوب
مَـا اسْتَصْرَخُوكَ لِنَصْرِهِم حَتَّـــى رَأَوا مِنْكَ المُجِيب
وَدرو بِدين محـــمـــدٍ أنَّ الشَـــفَاعَة لا تَخِـيب[7]

فاستجابة الإنسان لنجدة أخيه في الكرب والملمات هي من تمام الأخلاق وكمال الإيمان وقد تناول هذا الخلق شعراء الغرب الإسلامي حيث رفعوا قمته عند ممدوحيهم ونقل لنا الجراوي في حماسته لأحد الشعراء الذي جعل ممدوحه يستميت في ممارستها فقال:

تَلـقاهُ يقطـرُ سَيفُه وسِنَانُـهُ وبَنانُه رَاحَتُه نَدَى وَنَجِيعَـــا

---

[1]- البيتين لابن غلتدة، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص95.
[2]- سورة الأنفال، آية 9، ص178.
[3]- سورة النمل، آية 62، ص382.
[4]- ابن يخلفتن، المصدر السابق، ص71.
[5]- سورة الصافات، آية 171، ص452.
[6]- سورة غافر، آية 51، ص473.
[7]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص27.

مُنتصتاً لصدَى الصرَيخِ إلى الوَغَي لِيجيبَ صوتَ الصَارِخِ المَسمُوعَا[1]

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: "أنْصُـر أخَـاكَ ظَالِمًـا أو مَظْلُومَـا"[2] ولذلك دعا ابن الأبار المستنصر بالله باقتفاء أثار والده أبو زكريا يحيا بعـد وفاتـه فـي (ت 647هـ) في الإنجاد فقال:

أتْهِم وأنْجِد يَا نَجيبُ فَقد قَضَى نَحباً أخو الإنجَادِ والإتْهَام[3]

وجعل الله نصر المؤمن أمر واجب فقال سبحانه وتعـالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ...﴾[4]، وبشر محمد صلى الله عليه وسلم بالنصر من الله لكل منجـد يسـعى لنصرة أخيه فقال: "ومَا مِن امْرِئٍ يَنصرُ مُسْلِماً فِي مَوضِعٍ يُنتَقَصُ فِيه عِرضُهُ ويُنتهكُ فيه من حُرْمَتِه إلاَّ نَصرَهُ الله فِي مَوطِنٍ يحبُ نُصرَتَهُ"[5].

لقد عزز شعراء الأندلس من قيمة الإنجاد عند ممدوحيهم من الحكام والسلاطين ومن ذلك ما تغنى به ابن الأبار في مدح زكريا قائلا:

وَتقْبَلُ مَن يَحْيَـا شِيَمَا تَلقَى المُنْجُودَ فَتُنْـــــجِدُهُ[6]

والتطيلي الذي أنشد بشجاعته حكامه في سبيل غوثه وإستنجاده فقال في أحدهم:

أخَذَ العُلاَ بيمينهِ وشِمَالِـهِ غَوثُ الطَرِيدِ وعِصمَةُ المُستَعْصَمِ

وأكد أنه لن تضيع حقوقه بوجود حاكمه الذي يلوذ إليه فيحميه فقال:

وكَيف أضيعُ أو تُنسى حُقوقِي وَباسمكَ أستَغِيثُ وأَستَعِينُ[7]

ونبه الإسلام على ضرورة الإنجاد من القادرين على ذلك وحذر الأئمة من تقصيرهم في قضاء الحوائج، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا من إمَامٍ يُغلقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الحَاجَةِ والخِلَّةِ والمَسْكَنَة إلاَّ أَغْلَقَ الله أَبْوابَ السَّمَاءَ دُونَ خِلَّتِهِ وحَاجَتِهِ ومَسْكَنَتِهِ"[8] كما يعد

---

[1]– الأبيات للبحتري، الجراوي، المصر السابق، ص421.

[2]– أخرجه أنس بن مالك، محمد السعيد زغلول، موسوعة أطراف الحديث ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج8، ص24.

[3]– ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص276.

[4]– سورة الأنفال، آية 72، ص186.

[5]– أخرجه الألباني، في الجامع الصغير وزيادته، ص199، رقم الحديث 7983.

[6]– ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص165.

[7]– التطيلي، المصدر السابق، (ص170، 206).

[8]– أخرجه الترمذي، في كتاب الأحكام والوصايا، باب ما جاء في إمام الرغبة...، في صحيحه الكبيـر، ج3، ص12، رقم الحديث 1332.

انجاز الملهوف في الإسلامي صدقة قال نبي الله: ".... وَتَسْعَى بِشِدَةِ سَاقَيْكَ إِلَى اللَّهْفَانِ المُسْتَغِيثِ، وَتَرْفَعُ بِشِدَةٍ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَعِيفِ كُلُ ذَلِكَ مِن أَبْوَابِ الصَدَقَةِ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ..."[1].

وأثنى ابن مجبر[2] على صورة الإنجاد التي اكتملت لممدوحه الخلفية الموحدي يعقوب المنصور حين نصر الإسلام والمسلمين فنصره الله فقال:

إمَامُ جيشٍ أرادَ الله نَصرتَـــه فَأرسَلَ المَلأُ الأَعْلَى لهُ مَـدَدَا

إنِّي لأَحْكُمُ بِالنَّصْرِ العَزِيزِ لهُ وإن سَكَتَ فَإِن الوَحْيَ قَد شَهِدَا[3]

وقد أكد الله سبحانه وتعالى على نصرة المؤمنين فقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

2- الإجارة:

الإجارة هي الحماية الأمان والإنقاذ فيقال أجاره الله من عذابه أي أنقذ منه قال تعالى: ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ واستجار بفلان استغاث به والتجأ إليه واستجار فلان سأله أن يؤمنه ويحفظه فأجّره أمّنه[5]، والإجارة هي مصلحة مقدمة للمسلمين والنظر فيما تعود عليهم به منفعة، وأمان السلطان جائر لأنه مقدم للنظر والمصلحة نائب عن الجميع في جلب المنافع ودفع المضار[6]، إذن الإجارة تُنمي عن وجود اضطهاد أو اضطرار دافع إلى طلب الحماية والاستجارة.

إن المجير المؤمِن والمنقذ هو الله سبحانه وتعالى ولذلك كان ابن الجنان دائم اللجوء إليه في شدائده ومخاوفه فقال:

لله أَلْجَأُ فِي الشَدَائِدِ كُلَّـهَا والله يَعْصِمُ لاَجِئًا للَّـــهِ

لله آوي فِي المَخَـــاوِفِ إِنَّهُ مَا ضَاعَ عبْدٌ قَدْ أَوَى لله

---

[1]- أخرجه الألباني، ص29، رقم الحديث 4038.

[2]- أبو بكر يحي بن عبد الجليل بن عبد الرحمان بن مجبر الفهري (ت 588هـ)، شاعر المغرب، قصائده صارت مثالا وبعدت على قربها منالا، شعره كثير يشتمل على أكثر من تسعة آلاف وأربعمائة بيت، ينظر، المقري، المصدر السابق، ج3، ص238.

[3]- ابن الابار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص91.

[4]- سورة الروم، آية 47، ص409.

[5]- ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص146.

[6]- أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت 671هـ)، الجامع للأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح، عبد الله التركي وآخران، ط1، بيروت مؤسسة الرسالة، 2006م، ج 10، ص114.

وأردف داعيا إلى ضرورة اللجوء إليه في الصعاب والمُلمات فقال:

وَألجَأُ إليهِ إذَا عَرَتْكَ مُلِمَةٌ يَعْصِمُكَ إيواءٌ لهُ ورَجَاءُ[1]

وقد جاء ذلك في تقرير القرآن الكريم قال تعالى: ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

والإجارة هي من الشيم العربية الأصيلة الراسخة التي لم يخرج عنها أهل العدوتين فالسلطان الحفصي أجاب الناصرية وأجار تلمسان حين دعته قال ابن الأبار:

ولمَّا أجَبتَ النَّاصِرِيَة نَارًا وَجُبْتَ إلى البَطْحَاءِ بِيْدَائهَا رَكْضًا

دَعتكَ تلمسانُ فلبيتَ صوتَها مُجيرًا وُمُنَابُ الجُورِ يُوسِعُهَا عَضًّا

ولِيِّ العَهْدِ دَعوَةِ مُسْتَجِيبٌ لِدَعوتِهِم وقَولَـــةُ مُسْتَجِيـــــرٍ[3]

ونقل لنا الجواري افتخار أحد الشعراء بإجارة قبيلته للمستجيرين الخائفين فقال:

لقَد عَلِمَ القَبائلُ غيرَ فخْـرَ عَلَى أحدٍ وإنْ كَانَ افْتِخَـارَ

بِأنَّ العَاصِمُونَ إذَا استَجَرْنَا وَأنَا الحَازِمُونَ إذَا استَشَارُوا

تَبَغِ جِوارَنَا وَإن خِفْتَ إنَـــا نُجِيرُ الخَائِفِينَ وَلاَ نُجَـارُ[4]

والمجيرون هم الآمنون عند الله يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ للهِ عِبَادًا خَلَقَهُم لِحَوائِجِ النَّاسِ يَفْزَعَ النَّاسُ إِليهِم فِي حَوائِجَهُم أُولَئِكَ الآمِنُونَ يَومَ القِيَامَة"[5].

وكان أبو زكريا الحفصي قبلة المستجيرين المظلومين قال ابن الأبار:

مُجِيرٌ عَلى الأيامِ مِن جُورِ بُؤْسِهَا بِنُعمى عَلَى نُعمَى وَحَذْيًا عَلَى حَذْيَا[6]

كما أن هناك شاعر أثنى على إجارة الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف (585 – 580هـ/ 1184–1199م) فقال:

---

[1]– ابن الجنان، المصدر السابق، ص171.

[2]– سورة المؤمنون، آية 88.

[3]– ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص360.

[4]– الأبيات لبشار بنُ برد، الجراوي، المصدر السابق، ص655.

[5]– أخرجه أنس بن مالك، رقم الحديث 3196.

[6]– ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص446.

مَلَكٌ يُجِيرُ مِن الزَّمَانِ فَإِنْ تَظِم حُرًا بَوادِيهِ اللَّيالِي ضَامَهَا[1]

وقد أوجب الله سبحانه و تعالى تأمين المستجير وإن كان مشركا قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾.

خامسًا- الصفح والغفران

1- الصفح:

هو الإعراض عن الذنب وتركه قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾[2] والصفوح هو الكريم لأنه يصفح عمن جنى عليه[3] وهو أبلغ وأسمى من العفو لأنه مجرد من الملامة التأنيب والتوبيخ فيقال صفحت عنه أي: أوليته مني صفحة جميلة ونسيت الموضوع تماما[4] وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمل الناس صفحا لما يعرض عن مواجهة السيئة بمثلها[5] ويقابل أذى أهل الشرك بالصفح الذي لم يكن مقرونا بغضب أو كبر أو تذمر من المواقف المؤلمة.

ولذلك تعمد شعراء الغرب الإسلامي التغني بصفحه صلى الله عليه وسلم وفي ذلك دعوة للتأسي به فقال ابن يخلفتن:

غِنَى لِمَن اسْتَجْدَى هُدَى لَمن افتدَى حَيِّيٌّ مِن السُؤَالِ مُنْهَمِلُ النَدَى

عَفُوٌ عَنِ الجُهَالِ مُتَصِلُ الصَفْحِ[6]

ومن قصيدة للابن الجنان مدح فيها الجناب المحمدي وسمات صفحه فقال:

سَلامٌ على المُبْدِي لِصَفْحَةِ وَجْهَهُ خِصَالاً إذَا أَخْطأَ اِمْرُؤٌ أو تَعَمَدَا[7]

---

[1]- الأبيات لابن منخل، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص86.

[2]- ابن منظور، المصدر السابق، ج7، ص515.

[3]- سورة الزخرف، آية 5، ص489.

[4]- المناوي، المصدر السابق، ص216.

[5]- عبد الرحمان حسن حبنكة، المرجع السابق، ص447.

[6]- ابن يخلفتن، المصدر السابق، ص32.

[7]- ابن الجنان، المصدر السابق، ص85.

وهذا الصفح الذي تجمل به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام جاء طاعة لله وامتثالا لأمره قال تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[1] وقال أيضا: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[2].

كما أكد الشعراء على حضور هذه القيمة في الغرب الإسلامي، ومن بينهم ابن الأبار الذي أرسل إلى السلطان أبو زكريا الحفصي يستعطفوا يعتذر منه ويتوسم صفحه وقد كان ذلك سنة 646هـ فقال:

صَفْحًا جَميلاً أيها المَلـــــــك عَن مُحكْمَاتٍ لم نَطِق إِحصَائَهَا
لاَزِلتُ والزَّلاَتُ شَأْنُ الوَرَى تَهتزُ لِلصَفْحِ اهْتزَازَ الصِّفَاحِ[3]

ولأن الصفح شيمة العظماء والملوك الذين اعتادوا العفو عن المسيء ومقابلة هفوات المذنبين وخطاياهم بالتجاوز وترك العقوبة فقد قبل أبو زكريا اعتذاره وتغمده بصفحه فقال ابن الأبار:

تَغمدتَ صَفحًا عَثرَتِي وَإِقَالَة فَمَا أنَا فِي تِلكَ الإِقَالَة قَائِلٌ؟

وأردف في موضع آخر في ذات السياق فقال:

صَفحْت عُمرًا عن الخَطايَا وَتِلك من عَادَةِ العَميـــدِ
وَغَيرُ بِدعٍ ولا بَعيْـــــد صَفْحُ المَولَي عَن العَبِيد

ولذلك أظهر الشاعر عظمة هذه القيمة التي تجاوزت عند ممدوحه أبو زكريا مجـــال الصفح إلى السخاء السماح والعفو وهذا ما قاده للفصل في الخصومات بين الناس بالعـــدل فقال:

أمَا أبُو زَكرِيَا الإِمَام عَلـــــــى وفِق المَعَالي فَقَوالٌ وَفَعَـــــــــال
يَعفُو وَيصفَحُ فِي ذَاتِ الإِلهِ كَمَا يَسْخُو وَيسْمَحُ وَالمِفْضَالُ مِفْصَالُ[4]

---

[1]- سورة الحجر، آية 85، ص266.

[2]- سورة الزخرف، آية 89، ص495.

[3]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص41.

[4]- المصدر نفسه، (ص 41، 178، 251، 254).

وهذا الصفح هو من أبواب الإحسان قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وحين تعفو عمن ذكرك بسوء وتختار الصفح بدلا عن العتاب والإهانة ترتفع أصالة هذه القيمة وتسمو مكانتها الأخلاقية وهو ما أبرزه أحد الشعراء عند ممدوحه في الحماسة المغربية قائلا:

يَنالُ اختيارُ الصَفْحِ عن كُلِ مُذْنِبٍ لَهُ عِندنَا مَالاَ تَنَالُ الوَسَائِلُ[2]

كما نقل لنا الجراوي في حماسته افتخار أحد الشعراء بصفحه عمن يذكره بسوء فقال:

أَبْدُوا فَيَسْجُدُ مَن بِالسُوءِ يَذْكُرُنِي وَلاَ أُعَاتِبُهُ صَفْحًا وَإِهْوَانَا[3]

وأبرز شاعر آخر شمول هذه القيمة وسعتها في ممدوحه عندما وجده مستوعبا كل إساءة ويصفح حتى على أعداءه لتكون لديهم فرصة لتصحيح سلوكهم فقال:

تَغَمَدَ بِالصَفْحِ الذُنُوبَ وَاسْجَحَت سَجَايَاهُ فِي أَعدَاءِهِ وضَرَائِبُهُ[4]

وبين ابن مجبر جمال هذا الخلق في ممدوحه الذي جمع بين الصفح وإقالة العثرات وذلك عند سقوطه من جواده فقال:

ألاَ أَصْفَحُ عَن الطَّرَفِ الَّذِي زَلَ إذ جَرَت أَيَثْبُتُ طَرَفٌ فَوقَ النَّاسِ والدَهْرِ[5]

وأمر الله سبحانه وتعالى بالصفح فقال: ﴿وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[6] وإحداث التوازن بين الشدة والصفح يعمق الإحساس بمصداقية هذه القيمة وعمقها وقد جمع الخليفة الموحدي يعقوب المنصور بين الصفح والعقاب فهو بذلك أهل للثقة والأمن وهو ما رصده أبو الربيع في مدحه فقال:

فَلْيَطْلُبُوا الأَمْنَ مِن إِمَامِ فِي كَفِّهِ الصَفْحَ والعِقَاب[7]

---

[1]- سورة المائدة، آية 13، ص109.

[2]- البيت للأبي فراس الحارث بن سعيد الحمداني، الجراوي، المصدر السابق، ص737.

[3]- البيت لأبي الطيب المتنبي، الجراوي، المصدر نفسه، ص714.

[4]- الأبيات لأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري، الجراوي، المصدر نفسه، ص407.

[5]- يحي أبو بكر بن عبد الجليل بن مجبر الفهري، ديوان شعره، تح، محمد زكريا عناني، ط1، دار الثقافة، بيروت، 2000، ص102.

[6]- سورة البقرة، آية 109، ص17.

[7]- أبو الر بيع، المصدر السابق، ص25.

ولهذا وعد الله بالمغفرة جزاء لكل من عفا وأصفح فقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[1].

وجاء في القدح المعلى أن أحد الشعراء كان يطمح في اتساع صدر صديقه الفقيه فيصفح ويمسك عنه جدله، وفي ذلك تعزيز للقيم الأخلاقية وتحجيم الرذائل وتوطيد الأواصر الإنسانية فكتب إليه قائلا:

فَديتُكَ قَد وَجَّهْتَ بِالجَدَلِ الَّذِي بِصَفْحِكَ فِي إمْسَاكِهِ أنَا وَاثِقُ[2]

بالتالي فإن الصفح بلسم لأسقام القلوب يعزز انتشار الفضائل ويزيل الأحقاد ويثبت الروابط الإنسانية وهذا ما نقله ابن سعيد عن أحد الشعراء الذي قال:

الحقدُ دَاءٌ القُلُوبِ وَالصَّفْحُ مِنْهُ هَوَ الطَبِيبُ[3]

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "وَمَا زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إلاَّ عِزًّا"[4].

وقال أيضا: "المُؤمِنُ للمُؤمِن كَالبُنْيَان يَشُدُ بَعْضَهُ بَعْضَا"[5].

1 – الغفران:

الغفور الغفار، جل ثناؤه هما للمبالغة بمعنى الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، وأصل الغفر التغطية والستر غفر الله وغفر الله ذنوبه أي سترها وفي الحديث كان إذا خرج من الخلاء قال غفرانك! لأنه كان لا يترك ذكر الله بلسانه وقلبه إلا عند الحاجة وكأنه رأى ذلك تقصيرا فتداركه بالاستغفار[6].

فغفر ذنبه مغفرة غفرا وغفرانا أي غطى عليه وعفا عنه[7] وصانه من أن يمسه العذاب[8].

---

[1]– سورة النور، آية 22، ص 352.

[2]– الأبيات لأبي المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي، ابن سعيد، المصدر السابق، ص46.

[3]– الأبيات لأبي عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن حكم القرشي، ابن سعيد، المصدر نفسه، ص31.

[4]– أخرجه مسلم، في كتاب البِّر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، من صحيحه، ص2001، رقم الحديث 2589.

[5]– أخرجه البخاري، في كتاب الصلاة، باب اشتباك في المسجد وغيره، من جامعه الصحيح، ص128، رقم الحديث 481.

[6]– ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص25.

[7]– الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص451.

[8]– المناوي، المصدر السابق، ص252.

إن الله تعالى هو غفار الذنوب وستار العيوب دل على ذلك قوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1]، وقد سعى شعراء هذا العصر إلى إرساء دعائم الغفران وتثبيتها في مجتمعاتهم للظفر بمرضاة الله فرغَّب أبو الربيع بالاجتهاد في الغفران بقوله:

فَارْغَب إِلى الله فِي الغُفْرَان مُجْتهدًا هَذا الصبَاحُ بَدَا واللَيلُ مَنْهَزِمُ[2]

كما نصح ابن الجنان بالخضوع والتضرع إلى الله في طلب الغفران فقال:

وَأدعُ الإلهَ تَضرُعًا وَتخوفًا وَاسْأَلَهُ بِالحُسْنَى مِن الأَسْمَاءِ

وَاسْتَوهِب الغُفْرَانَ مِنْهُ فَإِنَّهُ يَعْفُو وَيَغْفِرُ زَلَّةَ الخُطَـــاء[3]

كما رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب الغفران أو الاستغفار فقال: "مَن أَحَبَّ أَن تَسُرَهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيُكْثِر فِيهَا مِنَ الاسْتِغْفَار"[4] وقال عز وجل: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَه﴾[5].

ولأن التجارب الإنسانية للقيم تمنح قابلية أكبر للفعل الإنساني فقد ذهب ابن الجنان إلى وصف مشهد لسيد الخلق الذي كان يطلب الغفران لقومه رغم ظلمهم فقال:

سَلامٌ عَلى مَن شُجَ فِي الحَرْبِ وَجْهَهُ فَكَرَرَ رَبِّ اغْفِر لِقَومِي وَرَدَدَا[6]

فيمسح الدم عن وجهه صلى الله عليه وسلم ويقول: "اللَّهُمَ اغْفِر لِقَومِي فَإِنَّهُم لاَ يَعْلَمُون"[7].

كما وجدت قيمة الغفران طريقها إلى نفوس الشعراء في عهد الموحدين وحتى القرن السابع في لحظات الإنابة إلى الله ومن عديد الشواهد الوارد في دواوينهم نذكر ما نقله ابن دحية عن أحد الشعراء وهو يعالج سكرات الموت ويدعو الله بغفران ذنوبه قائلا:

إلهُ الخَلق هَب لِي مِنْكَ عَفْوًا تَحُطُ بِهِ وَتَغْفِرُ مِن ذُنُوبِي[8]

---

[1]- سورة الحجر، آية 49، ص264.

[2]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص156.

[3]- ابن الجنان، المصدر السابق، ص71.

[4]- أخرجه الطبراني، محمد السعيد زغلول، المرجع السابق، ج8، ص24.

[5]- سورة هود، آية 3، ص221.

[6]- ابن الجنان، المصدر السابق، ص92.

[7]- أخرجه البخاري، في كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار، من صحيحه، ص601، رقم الحديث 3295.

[8]- ابن دحية، المصدر السابق، ص83.

وكان الزاهد أبو عمران الميرتلي (ت 604هـ)[1] يستغفر ربه من لغو الكلام فيقول:

وَنَحنُ أُولُو الجِدِّ فِي المُبْتَدأ وأَهْل الفُكَاهَةِ مَهْمَا خَلَونَا

وَاسْتَغْفِر الله فِي إِثْـــــــر ذَا وَنسْأَلُ العَفْوَ عَمَّا لَغَونَا[2]

فالاستغفار يعظم الثواب ويغفر الذنوب قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3].

وبشر أبو الربيع الخائفين من عقاب الله فيبتون سُجَّدا من خشيته بالغفران في قوله:

تبشر بالغفران من بات ليله حليف سهاد خوف نار تسعر

وأسفر عنه ليله وهو ساجد وأدمعه من خشيته الله تنهمر[4]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[5].

وفي خطوة أظهر فيها أحد الشعراء أصالة هذا الخلق عند ممدوحه حين جعله يتعجل بالغفران والتجاوز عن المذنبين فقال:

مَالكٌ إِذَا عاذَ السَيئُ بعفوهِ غَفرَ الإِسَاءَةَ قَادرٌ لاَ يَعْجَلُ[6]

وكان أبو الربيع يأمل أن يغفر له الخليفة يعقوب المنصور عندما ضيع بجاية فقال:

مَن كَان يَظْفِرُ بِالآمَالِ عِنْدَكُم فَإِن غُفرَانَكُم عِنْدِي هَوَ الظَفَرُ[7]

ومن كرم الله وعظيم مغفرته قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[8].

---

[1]– أبو عمران موسى بن حسن الميرتلي (ت 604هـ)، الزاهد الورع والعابد، مفسر حافظ للحديث وأصول الدين إلـــى الحظ الوافر من الأدب والشعر له ديوان جمع فيه أشعاره، ينظر، ابن الابار، التكملة، المصدر السابق، ج2، ص180.

[2]– ابن سعيد، المصدر السابق، ص133.

[3]– سورة النساء، آية 110، ص96.

[4]– أبو الربيع، المصدر السابق، ص157.

[5]– سورة الملك، آية 12، ص562.

[6]– البيت لأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري، الجراوي، المصدر السابق، ص416.

[7]– أبو الربيع، المصدر نفسه، ص145.

[8]– سورة الزمر، آية 53، ص464.

سادسًا- الشفاعة والإصلاح

1- الشفاعة:

هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه[1]، وتظهر شفاعة الشافعين في هذه الدنيا بالاهتداء بهداهم، وفي ذلك العالم الشفاعة هي باطن الهداية وعلى قدر هدايتك تكون لك الشفاعة، وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم مثل رحمة الله المطلقة تنال من هو جدير بها[2]، وتَحْدث يوم القيامة عند توجه خير الخلق محمد إلى الله ليلتمس منه تخفيف العقاب أو العفو عمن هو أهل له، وفي ذكر القرآن قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه «شافع مشفع»[3]، إذن الشفاعة هي التوسط عند الغير لجلب المنفعة أو دفع مضرة.

ونظرا للأهمية هذه القيمة العظيمة التي اختص بها الله نبيه الكريم فإن شعراء هذا العصر حرصوا على التذكير بها فقال ابن يخلفتن:

أَلا إنَّ رَبَّ العَرشِ شَرَفَ أَحمدَا ... وَوافَى بِه بُشرَى وَأَنجَزَ مَوعِدَا

وَأَسْرَى بِهِ حَالاً وَشَفَعَهُ غَـــدَا ... جَرَت لَيْلَةُ الإِسْرَاءِ ذِكْرًا مُخَلَدَا

وَمن كَرَسُولِ الله للهِ يَعْرُجُ[4]

ولا تحصل الشفاعة إلا بإذن الله عز وجل ورضاه قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[5].

ونقل الجراوي ما قاله أحد الشعراء سعيا منه لتنبيه أهل المغرب الإسلامي تذكيرهم بضرورة اقتفاء أثره والتعطر بذكره لتدركهم شفاعته صلى الله عليه وسلم فقال:

يَا أَيُّهَا الرَّاجُونَ مِنْهُ شَفَاعَةً ... صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِمُوا تَسْلِيمًا[6]

---

[1]- الجرجاني، المصدر السابق، ص109.

[2]- ليلى سوراني وآخرون، المرجع السابق، ص78.

[3]- ناصح الدين، المصدر السابق، ص235.

[4]- ابن يخلفتن، المصدر السابق، ص29.

[5]- سورة طه، آية 109، ص319.

[6]- البيت لحسان بن ثابت، الجراوي، المصدر السابق، ص60.

فصلى الأمير أبو الربيع على شفيع الورى وأنشد قائلا:

وَصَلَّى عَلَى خَيرِ الأَنَامِ مَحَمَّدٍ شَفِيعِ الوَرَى إِذْ لاَ شَفِيعِ وَسَلَّمَ[1]

وشفاعة النبي تدرك كل المسلمين ما لم يشرك بالله شيئا وقال محمد صلى الله عليه وسلم: "أُعْطِيتُ الشَفَاعَةَ وَهِي نَائِلَةٌ مِن أُمَّتِي مَن مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِالله"[2].

فالرسول هو صاحب لواء الشفاعة يوم القيامة لأهل الذنوب ولذلك كان الموحدين في الغرب الإسلامي يستصرخونه عندما تثقلهم ذنوبهم أخبر بذلك أبي الربيع فقال:

وَمُوحِدِينَ وَإِن نَـــــأَو حَمَلُوا عَلَى النَأْيِ الذُنُوبِ
مَا اسْتَصْرَخُوكَ لِنَصْرِهِم حَتَّى رَأَوا مِنْكَ المُجِيـــبَ
وَدَرَوا بِدِينِ مُحَمَّـــــدٍ أَنَّ الشَفَاعَةَ لاَ تَخِيب[3]

وأقر ابن الجنان بذنوبه راجيا عفو الله عنه ومستشفعا بنبيه عليه الصـــلاة والســـلام فقال:

للهِ عَفْوٌ وَاسِعٌ وَتَجَـــاوز يَرْجُوهُ مِثْلِي عَاصِيًا للهِ
للهِ مَا أَجْدَى، تَشْفَعُ مُذْنِبٍ مُتَشَفِعٌ بِمُحَمَّدٍ، لِلَـــــهِ[4]

وهنأ أبن يخلفتن نفسه و كل المسلمين بالشفاعة التي تمحي كل الذنوب فقال:

هنِيئًا لنَا مِنْهُ الشَفَاعَةَ فِي غَـــدٍ يَنَالُ رِضَاهَا كَلَّ عَبْدٍ مُوَحِدٍ
عَلَى خَطَأٍ فِي الذَّنْبِ أَو عَن تَعَمِد جَرَائِرَنَا تُمْحَى بَجَاهِ مَحَمَّـــدٍ
إِذَا شَفَعَ الْمَحْبُوُب جَازَ المُبَهْرَج[5]

ويذكر أحد الشعراء أن الشفاعة تكون يوم الحساب يوم لا يجدون مفر إلا لسيد الخلق فقال:

لنَا مِنكَ فِي الحِسَابِ شَفَاعَة تُفَرِّجُ عَنَا وَالشَفَاعَةُ فِي الأَهْلِ
وَلَيسَ لنَا إِلاَّ إِلَيْكَ فِرَارُنَـــا وأَينَ فِرَارُ النَّاسِ إِلاَّ إِلَى الرَّسُلِ[6]

---

[1]– أبو الربيع، المصدر السابق، ص156.

[2]– أخرجه الألباني، محمد السعيد زغلول، المرجع السابق، ج2، ص20.

[3]– أبو الربيع، المصدر السابق، ص27.

[4]– ابن الجنان، المصدر السابق، ص171.

[5]– ابن يخلفتن، المصدر السابق، ص30.

[6]– الأبيات لـــ لبيد بن ربيعة، الجراوي، المصدر السابق، ص112.

وَيَوْمَ الْحِسَاب "... يُقَال: يَا مُحَمَّد: اِرْفَع رَأْسَكَ، سَل تُعْطَى وَاشْفَع تُشَفَّع، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَب، أُمَّتِي يَا رَب، أُمَّتِي يَا رَب ..."[1] فهو يتوسل إلى الله أن يتجاوز عن ذنوب أمته وتلك هي الشفاعة.

أما الشفاعة العظمى فيدركها أهل المحشر الذين أُمر بهم في النار ويأمل ابن يخلفتن أن يكون بينهم فقال:

وَلَيسَ سِواهَ مَطْلَبِي وَمَؤَمَلِي دَلِيلُ الوَرَى وَاللَيلُ بِالصُّبْحِ يَنْجَلِي
شَفِيعُهُم وَالنَّارُ بِالنُّورِ تُخْمَدُ[2]

كما يرجوا ابن الأبار الشفاعة التي تجيره من النار وتجعله في رتبة الأبرار فقال:

أَدُوا السَّلاَمَ سَلِمْتُمُ وبِـــرَدِّهِ أَرْجُو الإِجَارَةَ مِن وُرُودِ النَّار
ثُمَّ اشْفَعُوا لِي فَالشَفَاعَةُ عِنْدَهُ فِيهَا أَبوءُ رَتبَةَ الأبْـــرَار[3]

وعن شفاعته في أهل النار يقول صلى الله عليه وسلم: "يَخْرُجُ قَومٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فَيدْخُلُونَ الجَنَّة يُسَمُونَ الجَهَنَّمِيين"[4].

ويضيف شعراء هذا العصر إلى منتهى أهل العدوتين بأن القرآن أيضا شفيع المسلمين ومن بينهم ابن الأبار الذي قال:

يَا حَاذِقَ القُرآنِ يَرجُو أَجْرَهُ وَهُوَ الشَّفِيعُ لِصَحْبِهِ وَالمَاحِلُ[5]

وهي الشفاعة التي حدثنا عنها النبي فقال: "...وَيقولُ القُرْآنَ إِنِّي مَنَعْتُهُ النَّومَ بِاللَّيلِ فَشَفِعْنِي فِيه"[6].

هذا وقد كانت الشفاعة في هذا العصر موجودة في الغرب الإسلامي فيتوسط البعض عند الخلفاء ليعفو ويتجاوز عن المذنبين وهو حال أبي الربيع الذي التمس شفاعة ولي العهد محمد الناصر عند الخليفة الموحدي يعقوب المنصور عندما ضيع بجاية فقال:

---

[1]- أخرجه الألباني، محمد السعيد زغلول، المرجع السابق، ج11، ص229.

[2]- ابن يخلفتن، المصدر السابق، ص43.

[3]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص463.

[4]- أخرجه البخاري، في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، في صحيحه الجامع، ج11، ص437، رقم الحديث 6191.

[5]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص267.

[6]- أخرجه الألباني، محمد السعيد زغلول، المرجع السابق، ج5، ص392.

شَفِيعِي مَحَمَّدٌ أَكْرِم بِـــهِ وَأَنْتَ المُرتَجَى لِكَشْفِ الكَرَبِ
فَشَفِعْهُ فِي فَنِعْمَ الشَّفِيعِ فَدَيْتُكَ مِن طَارِقَات التَّـوب[1]

كما استشفع الأمير الحفصي محمد المستنصر لابن الأبار عندما كـان فـي بجايـة مغضوبا عليه فأثنى عليه الشاعر ومادحا مسعاه فقال:

أَجَارَ مِن الخَطْبِ الأَمِيرِ مَحَمَّد فَقُمْتُ بِمَا أَوْلاَهُ أَثْنَي وَأَحْمَدُ
تَشَفَّعْتُ فِيهِ لِلإِمَامِ بَنَجْلِـــــهِ وَنِعْمَ شَفِيعِ المُذْنِبِينَ مَحَمَّـدٍ[2]

وتلك هي الوساطة الحسنة التي قال فيها الله عز وجل: ﴿...مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا...﴾[3].

1- الإصلاح:

وهو لفظ معين بين قوم معينين[4]، يتلفظون به في الخصومات بما يرفعهـا[5]، ومـن درر كَلِم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (الإصلاح للأعداء بحسن المقال و جميل الأفعال [الفعال] أهون من ملاقاتهم ومغالبتهم [بمضـض] القتـال وقـال «أصلحُ الناس أصلحهم للناس»[6] إذن: الإصلاح هو السعي بـين النـاس بغـرض فـض النزاعات وقطع المشاحنات، ولم الشمل والتأليف بين القلوب، ودرأ الفساد، وإصلاح أمور البلاد والعباد.

إن قيمة الإصلاح تنبع من قاعدة أخلاقية متينة حتى تثبت وتعمم عنـد كـل أفـراد المجتمع توجه شعراء هذا العصر إلى إظهار ملامحها في شخص سيد الخلق نبي الله عليه الصلاة والسلام الذي كفَّ المعتدين عن ظلمهم والمفسدين عن إفسادهم بفضـل إصـلاحه فقال ابن يخلفتن:

بِهِ كَفٌّ عَن عُدْوَانِهِ كَلَ مُعْتَـدٍ وَأَقْلَعَ عَن إِفْسَادِهِ كَلَّ مَفْسَـــدٍ

---

[1]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص147.
[2]- ابن الأبار، المصدر السابق، ص181.
[3]- سورة النساء، آية 85، ص91.
[4]- الجرجاني، المصدر السابق، ص109.
[5] - ليلى سوراني وآخرون، المرجع السابق، ص78.
[6]- الآمدي، المصدر السابق، ص235.

وَفِي كَلِّ مَنْحَى لِلصَّلاَحِ وَمَقْصَدٍ نَأْيِ النَّاسَ مَرْؤوبٌ بِبَعْثِ مَحَمَّدٍ
فَلاَ غَارَ تُخْشَى وَلاَ عَهْدَ يُنْكَثُ[1]

ودل على صلاح الأنبياء قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[2].

والإصلاح يبدأ من النفس لأنها منطلق للإصلاح المجتمع، وهذا ما ذهب إليه أحد الشعراء وهو ابن غلندة (ت 581ه) فقال:

إِذَا كَانَ إِصْلاَحِي لِجِسْمِي وَاجِبًا فَإِصْلاَحُ نَفْسِي لاَ مَحَالَةَ أَوْجَبَ[3]

وأورد الشنتريني (ت 549ه) في ذات السياق من باب الوصايا «...ليكن أول إصلاحك لهم إصلاحك نفسك فإن عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما فعلت والقبيح ما تركت ...».

وصلاح النفس مرهون بصلاح القلب قال رسول الله: "أَلاَّ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَت صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَّ وَهِيَ القَلْب"[4].

وبالإصلاح يعم الاستقرار والأمن في البلاد ولا يتأتى ذلك إلا باجتهاد الحاكم في إصلاح الرعية وهو ما أشار إليه أحد الشعراء فقال:

وَلَقَد أَرَادَ الله إِذْ وَلاَكَهَا مِن أُمَةٍ إِصْلاَحَهَا وَإِرْشَادَهَا[5]

وأبرز ابن الأبار المثال في الإصلاح وهو ابن زكريا الحفصي ولذلك بايعته سبتة وبعض مدن الأندلس سنة 640ه فقال:

عَمَّ العَوَالِمَ إِصْلاَحٌ لِدَولَتِهِ حَدَثَانِ مَا عَمَّ إِسْرَافٌ وَإِفْسَادُ[6]

وأمر الله بالإصلاح في قوله: ﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[7].

---

[1]- ابن يخلفتن، المصدر السابق، ص23.

[2]- سورة آل عمران، آية 39، ص55.

[3]- الأبيات لعبد الله بن علي بن غلندة، ابن الأبار، تحفة القادم، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص94.

[4]- أخرجه البخاري، في كتاب الإمام، باب فضل من استبرأ لدينه، من جامعه الصحيح، ج1، ص23، رقم الحديث 52.

[5]- الأبيات لـ عديَ بن الرقاع، جراوي، المصدر السابق، ص220.

[6]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص150.

[7]- سورة البقرة، آية 224، ص35.

ونهى عن طاعة المفسدين فقـــال: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[1].

والإصلاح بين الناس هو جوهر هذه القيمة وأفضل ما فيها التي نَبه إليها الشـــنتريني في معرض إحدى الرسائل قال فيها مرسلها: «...والصلح جائز بين النـــاس إلا صـــلحا حرم حلالا وأحل حراما ...»[2] ولذلك فضلها الرسول صلى الله عليه وسلم على الصـــيام والصلاة فقال: "أَلاَ أُخْبِرُكُم بِأَفْضَلِ مِنَ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا: بَلَى: قَالَ: إِصْلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَة"[3].

وكانت الأندلس وبلاد المغرب الإسلامي يعمرها المصلحين المشهود لهم وذكر ابـــن سعيد أن والد الشيخ الصالح أبو زكريا يحيا كان من بينهم فقال: «كان من أهل الصـــلاح والدين ولقي علماء سبتة ومصلحيها فروى عنهم وسمع منهم ... كان عاكفا على الإصلاح والخير مع الانقباض والزهد...»[4] والصلحاء هم مع الأنبياء والصديقين قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[5].

---

[1]– سورة الشعراء، آية 151، ص373.

[2]– الشنتريني، المصدر السابق، ص903.

[3]– أخرجه أبو داوود، في كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، من صحيح سننه، ص206، رقم الحديث 4919.

[4]– ابن سعيد، المصدر السابق، ص98.

[5]– سورة النساء، آية 69، ص89.

الفـصل الثـالـث:

قـيم الكـمال الجسـماني

أولاً- الأناقة والجمـــال

ثانـــيًا- التطهر والتطيـب

ثالثـًا- الهيبة والوقـــــار

رابعًا- البأس والشجاعــة

خامسًا- البلاغة والفصاحة

سادسًا- البشر والتبســـم

إن النسق القيمي يكمله ويثمنه التوافق الشكلي، الذي يبرز في أناقة المظهر وصحة البدن، وفصاحة اللغة، وبشاشة الوجه، لينتهي بتتويج الفرد بالهيبة والوقار الذي أفادتنا المدونة الأدبية ببعض صوره السائدة في هذا العصر في بيئتي المغرب الإسلامي والأندلس، وأثبتت أيضا أن قيم الكمال الجسمي لا تقل أهمية على نظائرها الروحية والاجتماعية.

أولاً- الأناقة والجمال

1- الأناقة:

إن المعنى اللغوي للقيم لا يخرج عن المعنى الاصطلاحي فكلمة أنيق تقال لكل شيء أعجبك حسنه والأنِق حسن المنظر والأنَق: الفرح والسرور وحسن المنظر وإعجابه إياك [1] والمنظر الأنيق هو المنظر الحسن ويقال تأنق في أموره أي تجود وجاء بها بالعجب وتأنق في عمله أي أتقنه وأحبه[2]، من هنا فإن الأناقة تعني الاهتمام بالمظهر الخارجي من نظافة ونظام وحسن التنسيق دون تكليف لأن البساطة سر الأناقة.

إن مظاهر الاهتمام بالجمال، الزينة والأناقة كانت واضحة على أهل العدوتين ذلك أن الحسن والأناقة من الأعمال التي يتقربون بها إلى الله وهذا ما ذهب إليه ابن غياث (ت 619هـ)[3] في قوله:

يَرَى أَنَّ حُبَّ الحُسْنِ فِي الله قُرْبَة لِمَن شَاءَ بِالأَعْمَالِ أَن يَتَقَرَبَا[4]

هذا وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه القيمة الراقية فقال: "إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يَحِبُ الجَمَال"[5].

وكانت المرأة الأندلسية تهتم بجمالها وأناقتها حتى أنها أبهرت شعراء هذا العصر فكتبوا عنها الكثير ومن ذلك أنها كانت تلبس الحرير وتنتقب من السندس حسب أحد شعراء بلنسية الذي قال:

---

[1]- ابن منظور، المصدر السابق، ج10، ص10.

[2]- الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص865.

[3]- أبو عمرو محمد بن عبيد الله بن غياث، شاعر مطبوعا من أهل شريش توفي أول سنة تسع عشرة وستمائة، ينظر ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص182.

[4]- تحفة القادم، المصدر نفسه، ص182.

[5]- أخرجه مسلم، في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، من صحيحه الجامع، ص93، رقم الحديث 91.

يَرفُلنَ في حُلَلِ الحَريرِ تَأَوُّدًا وَقد إنتَقَبْنَ بَراقِعًا من سُنْدسِ[1]

أما المرأة المغربية فقد جمعت هي الأخرى بين الأناقة والجمال والحياء وذلك حسب ما وقف عليه شعراء هذا العصر فنقل لنا الجراوي من أحدهم مقولته:

قَد فُزْنَ بِالحُسنِ والجَمالِ معًا وفُزنَ رِسلاً بالدِّلِّ وَالخَفَرِ[2]

وبالمقابل فإن الأناقة عند الرجال تضاعفت لارتباطها مع الشجاعة فأنشدنا أحد الشعراء بذلك قائلا:

فِي الرَوْعِ أوْجُهَكُم كَأَقْمَارِ الدُّجَى وَسُيوفُكُم كَشَقَائِقِ النُّعْمَانِ[3]

هذا وقد تحلت بلدان الغرب الإسلامي كلها بالأناقة السحر والجمال ومن ذلك مدينة مراكش التي أعجب بها أحد الشعراء فهنأ قاطنيها وتأسف لمن لم يحالفهم الحظ بزيارتها فقال:

فَطُوبَى لَمن أَمْسَى وقَد حَطَّ رِحْلَهُ بِسَاحَةِ بَابٍ للهُدَى لَيسَ يُغلَقُ

وَتَعْسًا لِمن لَم يَنظِمِ الدَّهْرَ شَمْلَهُ بِمَرَاكِشِ الغَرَّاءَ حَيثُ التَأَنُّقُ[4]

فيما ذهب أحد الشعراء إلى أن سيفه جسد أروع صورة للأناقة فقال فيه:

وَدَقِيقٌ قِدَى الهِبَاءِ أَنِيقٌ مُتَوَالٍ فِي مُسْتَوِ هَزْهَازِ[5]

فالله سبحانه وتعالى أعطى لكل شيء نصيب من الجمال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[6].

2- الجمال:

هو من الصفات المتعلقة بالرضا واللطف[7]، قال الراغب: هو الحسن الكثير وهو ظربان: أحدهما: يختص بالإنسان في نفسه أو بدنه أو فعله والثاني ما يوصلُ منه إلى غيره، فمِن الله يفيض الجمال ويحب من يتصف به[8] ويمكن تحسس مواضع هذه القيمة في

---

[1]- البيت لأبي محمد عبد الله بن جحاف المعافري، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص55.

[2]- البيت لعمر بن ربيعة، الجراوي، المصدر السابق، ص1121.

[3]- البيت لأبي المطرف، ابن سعيد، المصدر السابق، ص48.

[4]- البيتين لأبي محمد عبد الله بن محمد بن ذمام، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص104.

[5]- البيت لابن الرومي، الشنتريني، المصدر السابق، ص983.

[6]- سورة المؤمنون، آية 14، ص324.

[7]- الجرجاني، المصدر السابق، ص70.

[8]- الراغب، المصدر السابق، ص202.

الظاهر والباطن وفي كل ما يحيط بنا ويمتع الأنظار ويسعد القلوب، ويجلب الراحة والسكينة إلى النفوس، ويقضي على القلق والتوتر.

لقد منَّ الله تعالى على بلدان الغرب الإسلامي بقدر وافر من الجمال، فكانت «محاسن الأندلس لا تُستوفي بعبارة، ومجاري فضلها لا يشق غُباره، وأنى تُجارَى وهي الحائزه فَصبَ السّبق، في أقطار الغرب والشرق»[1] ولهذا كانت مصدر كثير من شعراء هذا العصر ومن بينهم مرج الكحل الذي أنشد في إحدى حدائقها:

حَديقَةُ يَاسَمِين لاَ تَهِيمُ بِغَيرِهَا الحَدَقُ[2]

وتزدان حدائق الأندلس جمالا ورونقا بحلول فصل الربيع حتى هام بها أحد الشعراء وقال:

مَا الدَّهرُ إلاَّ الرَّبِيعُ المُستَنِيرُ إذَا أَتَى الرَّبِيعُ أَتَاكَ النُّورُ والنُّورَ
الأَرْضُ سُنْدُسَةٌ وَالجَوُّ لُؤلُؤَةٌ وَالنُّورٌ فَيرُوزَجٌ والمَاءُ بِلَّوْر
مَن شَمَّ رِيحَ تَحِيَّاتِ الرِّيَاضِ هَلَّ لاَ المِسْكُ مِسْكٌ وَلاَ الكَافُورُ كَافُورُ[3]

وخلق الله تعالى الحدائق لإسعاد الناس فقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[4].

ومن أنهارها العذبة اختار أحد الشعراء نهر بجزيرة شُقر فقال فيه:

نَهْرٌ يَهِيمُ بِحُسْنِهِ مَن لَم يَهِمِ وَيَجِيدُ فيهِ الشِّعْرَ مَن لَم يَشْعُر
اِصفَرَّ وَجْهُ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا إلاَّ لِفُرْقَةِ حُسْنِ ذَاكَ المَنْظَر[5]

وفي رحلة لابن سعيد مع أحد الشعراء مرُوا بمرج الفضة فقال هذا الشاعر:

للهِ نَهرٌ ما رأيتُ جَمالهُ إلاَّ ذَكرتُ لَديهِ نَهرُ الكَوثَر[6]

---

[1]– المقري، المصدر السابق،ج1، ص125.

[2]– مرج الكحل، المصدر السابق، ص119.

[3]– الأبيات لأبي الأصبع عيسى بن محمد العبدري، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص84.

[4]– سورة النمل، آية 60، ص382.

[5]– البيتين لـــ أبي جعفر عبد الله بن محمد بن جُرح، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص82.

[6]– الأبيات لـــ ابن سهل الإسرائيلي، ابن سعيد، المصدر السابق، ص77.

فشبه هذا النهر بأحد أنهار الجنة الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بَينمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُرِّ المَجَوَّفِ قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبرِيل؟ قَالَ: هَذَا الكَوثَر الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّك"[1].

كما أسهب الشعراء في وصف جمال إشبيلية وتعجب أحدهم من حسنها فقال:

أَجَلْ فَديْتُكَ طرفًا فِي مَحَاسِنِهَا تَبْصِرُ وَحَقُكَ مِنْهَا آيةً عَجَبَا[2]

من جهة أخرى فإن عمائر الأندلس شهدت جمالا منقطع النظير مثل المصانع والقصور ومن أمثلتها «قصر باديس بن حبوس في غرناطة الذي لا مثيل له في بلاد الإسلام وبلاد الكفر» وفي وصف تلك القصور قال أحد الشعراء:

حَيثُ القُصُورُ البِيضُ يُرمُقُ حُسْنَهَا فَيَكُونُ قَيدَ نَوَاظِرٍ وَعُيون

قَد أُلِّفَتْ أَجْزَائَهَا فَتَنَاسَبَت كَتَنَاسُبِ النَّغَمَاتِ فِي التَّلحِينِ[3]

ولم يسع شاعر آخر إلا أن يهنأ أهل الأندلس بهذا الجمال فقال:

يَأَهْلَ الأَنْدَلَس للهِ دَرُّكُم ماءٌ وظِلٌ وأشجارٌ وأنهار

مَا جَنَّة الخُلْدِ إلاَّ فِي دِيَارِكُم وَهَذِهِ كُنْتُ لَو خُيِّرْتُ أَخْتَارُ

لاَ تَحْسِبُوا فِي غَدِ أَنْ تَدْخُلُوا سَقَراً فَلَيسَ تَدْخُلُ بَعْدَ الجَنَّةِ النَّارِ[4]

وخالق هذا الجمال والإبداع هو الله تعالى الذي قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[5].

وبلاد المغرب الإسلامي هي الأخرى لا تقل جمالا عن الأندلس فلم يترك الشعراء شيء إلا وأثنوا على رونقه وسحره فكتبوا حول البحيرات والبرك الأنهار والحدائق وكتبوا حول القصور، وزخارف الجدران والمساجد... ويمكن ملاحظة مظاهر الجمال في تونس من خلال ما دونه ابن الأبار أثناء إقامته فيها فقال:«... فيا بُشرى لتونس أخصب جريبها وأحسن وصف الروض والغدير أديبها، وطالما أطلعت صحراء بل رمضاء... خمائل وجداول، تزاول منها العين ما تزاول... ويا لقصرها السعيد نعمت أدواحه وهبة على

---

[1]– أخرجه البخاري، في كتاب الرقاق، باب في الحوض، من جامعه الصحيح، ج11، ص481، رقم الحديث 6210.

[2]– البيت لـ أبي محمد عبد الله بن عمار البكري، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص151.

[3]– الأبيات لـ أبي المطرف أحمد بن عبد الله بن عمير المخزومي، ابن الأبار، المصدر نفسه، ص211.

[4]– ابن سعيد، المصدر السابق، ص46.

[5]– سورة الكهف، آية 7، ص294.

خضر الأغصان وزرق الغدران أرواحه،... وهنيئا للمسجد الجامع أن رويت جوانحه الصادية، وجمعت في شرعته السارية والغادية.... وقد علم كل أناس مشربهم فهم يردون على العذاب النَّمير، ويجدون بركة الأميرمكرمة ذَخَّرها لسلطانه الزمان ...»[1].

وقال الأمير أبي الربيع في أحد الحدائق التي يستريح عند رؤية جمالها

أُنُظر إلى دَوحَةِ التُّفَاحِ مَالَ بِهَا ... رِيحِ الصِّبَا فَأَثَار الزَّهْرُ والوَرْقَا
وَالنَبْتُ مِن حَولِهَا تَبْدو أَزْهَـارَهُ ... كَأَنَّهُمْ أَنجُمٌ قَد فَرَّت فَـــــرَا
فَأَشْرَبْ عَلى حُسْنِهَا صَهْباً صَافِيةً ... تَهْدِي السُّرُورَ وَتَنْفِي الهَّمَ وَالأَرَقَا[2]

وسخر الله تعالى كل هذا الجمال لراحة الإنسان فقال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[3].

أما العمائر المغربية فكانت متميزة وعالية الدقة والإتقان والجمال وهو ما لفت انتباه شعراء هذا العصر فتغنى أحدهم بجمال المباني السطانية فقال:

وَضَّاحَةٌ حَلّتِ الأَنوَارُ سَاحَتَها ... فَأَزْمَعَت رِحْلَةٌ عَن أُفُقِهَا السُدَفُ
تَجَمَّعَت وَهِي أَشْتَاتٌ مَحَاسِنِهَا ... هَذَا الغَدِيرُ وَهَذِي الرَّوْضَةُ الأُنُفُ[4]

ثم اتجه الشعراء إلى التغني بجمال المجالس فقال أحدهم:

مَجْلِسُنَا هَذَا لِضِيْقَانِـــــهِ ... طَلْقَا المُحَيَّا مِثْلَ سُكَّانهِ
إِنْ يَكُن قَد قَصَّرَ عَن غَيْرِهِ ... فَحُسْنُهُ زَادَ بِإِحْسَانِـــهِ[5]

لكن الله سبحانه وتعالى حذر من الانشغال بجمال الدنيا فقـــال: ﴿حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا﴾[6].

وذكر الأمير أبي الربيع لغزا في إحدى الأشياء الجميلة وهو الكتاب فقال:

جَمِيلٌ مُحَيَّاهُ كَرِيمٌ لِقَاؤُهُ ... رِقَاقٌ حَوَاشِيه صَقِيلُ التَرَائِب[7]

---

[1]– النص لـــ محمد بن عبد الله القضاعي ابن الابار، ابن سعيد، المصدر السابق، ص195.

[2]– أبو الربيع، المصدر السابق، ص134.

[3]– سورة النحل، آية 6، ص267.

[4]– البيت لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت، ابن الابار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص11.

[5]– البيتين لـــ أبي عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن حكم القرشي، ابن سعيد، المصدر السابق، ص37.

[6]– سورة يونس، آية 24، ص211.

[7]– أبو الربيع، المصدر السابق، ص115.

ثانيًا- التطهر والتطيب

1- التطهر:

هو عبارة عن غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة [1]، وهو أربع مراتب: تطهير الظاهر من الأحداث الأخباث والفضلات، تطهير الجوارح من الجرائم والإثم والتبعات، تطهير القلب من مساوئ الأخلاق ورذائلها[2]، كما يلزم من تطهير النفس ثلاث قوى وهي: قوة الفكر بتهذيبها حتى تحصل الحكمة والعلم وقوة الشهوة بقمعها حتى تحصل الحكمة والعلم، وقوة الشهوة بقمعها حتى تحصل العفة والجود، وقوة الحمية بإسلاسها حتى تنقاد للعقل فتحصل الشجاعة والحلم ومن اجتماع كل ذلك تتولد العدالة[3] إذن التطهر هو نظافة الروح والبدن.

يُعد التطهر من مستلزمات الحياة الكريمة التي أولاها أهل العُدوتين اهتماما بالغا انطلاقا من القاعدة الإيمانية والأخلاق الرامية لذلك قال صلى الله عليه وسلم: "الطَّهُورُ شَرْطُ الإِيْمَانِ"[4]، وحول اهتمام أهل الأندلس بهذه القيمة فقد أوضح المَقري في نفحه قائلا: «وأهل الأندلس أشدُ خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من يكون عنده إلا ما يقوته يومه، فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه، ولا يطهر فيه ساعة على حاله تنبو العين عنها»[5].

كما تغنى شعراء هذا العصر ببعض رموز هذه القيمة فقال التُطيلي مفتخرا بقومه:

وَلاَ مَثَلُ عِيسَى مِنهُم وَمُحَمَدٍ طَهَارَةَ أَثْوَابٍ وَحُسْنُ مَنَاظِرِ[6]

واسترسل ابن سعيد في ذكر سجايا ابن همشك التنملي (ت 606هـ)[7].

فقال: «... كان مشكور السيرة حسن السريرة، معروفا بالنزاهة والطهارة»[8].

---

[1]- الجرجاني، المصدر السابق، ص120.

[2]- ليلى سوراني وآخرون، المرجع السابق، ص80.

[3]- الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص88 .

[4]- أخرجه مسلم، في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، من جامعه الصحيح، ج1، ص203، رقم الحديث 223.

[5]- المقري، ج1، ص125.

[6]- التطيلي، المصدر السابق، ص54.

[7]- أبو عبد الله بن يحيا بن المعروف بابن همشك التنملي (ت 606هـ)، الشيخ الفقيه الأديب الصالح الزاهد، ينظر، ابن سعيد، المصدر السابق، ص98.

[8]- ابن سعيد، المصدر السابق، ص98.

وعندما يتسع التطهر ليشمل الأقوال والأفعال فإن هذه القيمة تسمو بالمجتمع إلى أرقى المراتب وهذا ما تجسد في شخص الخليفة الحفصي أبو زكريا الحفصي الذي ورث الطهارة من أبيه وجده قال إبن الأبار:

ورِثَ السِيَّادَةَ عَن أَبِيهِ وَجَدِّهِ الطَّاهِرِ الأَقوالِ وَالأَعْمَالِ[1]

ولهذا فإن المسلم مُطالب بتطهير كافة جوارحه ولذلك دعا التطيلي إلى تطهير السمع وتنزيهه عما يدنسه فقال:

وَنَزِّه السَمْعَا عَن مَنْطِقِ اللاَّحِي[2]

وكل من يحرص على التطهر سوف يجعله الله من المقربين قال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[3].

وتجتمع طهارة الروح والبدن بالابتعاد عن الشح لذلك دعا أحد الشعراء إلى تنظيف الأيادي من البخل لتكتمل صورة الطهارة فقال:

فَّتى لاَ يُرْجَى أَن تَتِمَّ طَهَارَةٌ لَمَن لَم يُطَّهِر رَاحَتَيْه مِنَ البُخْلِ[4]

والصدقة تطهر النفس من الذنوب قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[5].

شعراء هذا العصر سعيا منهم لتعزيز هذه القيمة وإبرازاً لمكانتها عند أهل الغرب الإسلامي حرصوا على إظهارها في سياق تعداد مناقب الميت فعن طهارة أثوابهم قال أحد الشعراء:

مَضَى طَاهِرَ الأثْوابِ لَم تَبْقَ بُقْعَةٌ غُدَاةَ ثَوَى إلاَّ اشْتَهَت أَنَّهَا قَبْرُ[6]

ولم يكن التطهر إلا طاعة لله فيما أمر قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[7].

---

[1]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص264.

[2]- التطيلي، المصدر السابق، ص267.

[3]- سورة التوبة، آية 108، ص204.

[4]- البيت لـ أبي الطيب المتنبي، الجراوي، المصدر السابق، ص555.

[5]- سورة التوبة، آية 103، ص203.

[6]- البيت لـ أبي تمام، ابن سراج، المصدر السابق، ص1017.

[7]- سورة المدثر، آية 4، ص575.

2- التَّطيب:

الطيب خلاف الخبيث فالخبيث كناية عن الحرام أما الطيب فمعناه الطاهر ومنه حديث علي كرم الله وجهه لما مات الرسول صلى الله عليه وسلم، قال: بأبي أنت وأمي طِبت حيا وطِبت ميتا أي طهرتَ[1] وقد ورد أن النبي إذا قام من الليل يشُوصُ فاه بالسواك[2] هذا وإن هذه المادة تتسع دائرتها لعدة معاني فطاب الشيء طيبا وطيبة أي زكا وطهر جاد وحسن ولذ وصار حلالاً، والطيب ما يتطيب به من عطر أو غيره والطيبُ كل ما تستلذ به الحواس أو النفس وكل ما تخلى عن الرذائل وتحلى بالفضائل، ونفس متطيبة راضية بما قدر لها، ونكهة طيبة زكية الرائحة لا نتن فيها، والمطايب خيار كل شيء وأفضلها، طايبهُ أي: طيب خاطره وأرضاه ولاطفه وأطاب في كلامه أزال عنه الأذى والقذر[3]...، إذن: التطيب قيمة ضرورية لتعزيز مكانة الإنسان في مجتمعه.

لقد أثنى أدباء هذا العصر على هذه القيمة وأبرزوا مكانتها عند أطيب الخلق روحا وريحا، وذلك للفت الانتباه إلى سنته وضرورة التأسي به في التطيب فقال الجراوي نقلا عن أحد الشعراء: الذي أشار إلى أن الدنيا كلها تطيبت وتطهرت وتحسنت بطيبه وريحه وشذاه.

طَابَتِ الدُّنْيَا بِطِيبِ مُحَمَدٍ [وَزَادَت] بِهِ الأَيَّامُ حُسْنًا إِلَى حُسْنِ[4]

وأضاف ابن الجنان في ذات السياق قائلا:

سَلاَمٌ عَلى آل النَّبِي وَصَحْبِهِ سَلاَمٌ كَمَا يَرْضَي النَّبِيُ مُحَمُـــــدَ

سَلاَمٌ عَلَيهِم مِثْلَ طِيبِ ثَنَائِهِم هُوَ المِسْكُ أَوْ لِلْمِسْكِ مِن عُرْفِه جَدَا[5]

ونظرا لأهمية هذه القيمة فقد فصّل النبي صلى الله عليه وسلم في كيفية التطيب للنساء والرجال فقال: "إنَّ طَيْبَ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيْحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيْحُهُ"[6].

---

[1]- ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص563.

[2]- ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج1، ص730.

[3]- إبراهيم أنيس وآخرون، المصدر السابق، ص573.

[4]- البيت للأبي النواس، الجراوي، المصدر السابق، ص282.

[5]- ابن الجنان، المصدر السابق ص96.

[6]- أخرجه الألباني، محمد السعيد زغلول، المرجع السابق، ج3، ص345.

من جهته أوصى ابن سراج بالتطيب في حديث سابق لأحد الأدباء الذي أوصى بـــه ابنته حين زوجها فقال: «وَعَليكَ بِالطِّيبِ، وأَطْيَبُ الطِّيبِ الوُضُوءُ»[1].

ومن مظاهر هذه القيمة التطيب في الكلام، فيزِن المرء كلامه حتى لا يؤذي به غيره بل ويطيِّب ويُسعد به نفوس المستمعين حوله وأحد الشعراء يفتخر بكلام صديقه فالنظمُ منه درُ ونثره مسك وطيب فقال:

فَنَظْمُكَ دُرٌ أَنْفَسُ الدُّر دُوْنَهُ وَنَثْرُكَ مِسْكٌ طَيِّبُ العُرْفِ يَعْبِقُ
وَأَنْتَ مَلِيكُ لِلْبَلاغَةِ كَلَّهَـــا وَرَايَاتُهَا مِن فَوقِ رَأسِكَ تَخْفِقُ[2]

والتطيب في الكلام أمرنا به الله قوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[3].

والتطيب في الأكل وجه آخر لهذه القيمة ويكون بانتقاء الحلال، الطاهر الطيب فـــي ذوقه وريحه مثل الموز الذي استساغه احد الشعراء فكتب عنه قائلا:

يَا حَبَّذَا المَوْزُ وَإِسْعَادِهِ مِن قَبْلِ أَن يَمْضَغَهُ المَاضِغُ
سِيَّانَ قُلْنَا مَأْكَلٌ طَيِّـــبٌ فِيهِ وإِلاَّ مَشْرَبٌ سَائِـــغٌ[4]

وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[5].

والنفس تتطيب بما يروقها من الروائح الزكية مثل روائح ريـــاض الأنـــدلس التـــي استطاب بعبقها وشذاها أحد الشعراء ثم قال:

مَن شَمَّ رِيحَ تَحِيَّاتُ الرِّيَاضِ يَقُل لاَ المِسْكُ مِسْكُ وَلاَ الكَافُورُ كَافُورُ[6]

وقد كان أهل الغرب الإسلامي يَعُونَ بأن التطيب غذاء الروح ولذلك كانوا يتهـــادُون بالمسك والعنبر وهو ما حصل لأحد الشعراء الذي أهدته امرأة مسكا فقال:

أَتَانَا فَتِيتُ المِسْكِ يَعبَقُ عُرْفُهُ وَيُثْنِي عَلَى ذَلِكَ النَّدَى وَالتَّكَرُّمِ[7]

---

[1]– النص لـــ أبي عبد الله جعفر، ابن سراج، المصدر السابق، ص851.

[2]– البيتين لـــ عبد الله بن محمد بن دِ مَام، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص104.

[3]– سورة البقرة، آية 83، ص12.

[4]– البيتين لـــعبد الله بن أبي سعيد، ابن دحية، المصدر السابق، ص67.

[5]– سورة البقرة، آية 172، ص26.

[6]– البيت لـــ عيسى بن محمد العبدري، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر نفسه، ص84.

[7]– البيت لـــ علي بن عطية بن الزقاق، ابن دحية، المصدر السابق، ص109.

وقد نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام عن رد الطيب فقال: "مَن عُـرِضَ عَلَيْـهِ طِيْبٌ فَلاَ يَرُدَّهُ فَإِنَّهُ طَيِّبُ الرِّيْحِ خَفِيفُ المَحْمَلِ"[1] بل و"كَانَ يُحِبُّ الطِّيبَ وَيَأْمُرُ بِهِ"[2].

وهناك من تطيبُ نفسه عندما يستميت في القتال مُظهرا بسالته وشجاعته وفي هـذا الإطار نقل لنا الجراوي عن أحد الشعراء في باب المدح قائلا:

تَجُودُ بَنَفْسٍ لاَ يُجَادُ بِمِثْلِهَا وَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ تَطِيبُ[3]

وقد كان صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام لا تطيب لهم نفسا حتى يخرجـوا معه في كل سرية فوصفهم بقوله: "وَلاَ تَطِيبُ أَنْفُسَهُم أَن يَقْعُدُوا بَعْدِي"[4].

والتطيب في الأفعال يكون بالتحلي بالفضائل واجتناب الرذائل وهو ما تجسـد فـي إحدى النساء التي قال في رثائها ابن الجنان:

لِتَطَيُبِي مَثْوَى الَّتِي بِفِعْالِهَا قَد طَابَ فِي الدُّنْيَا الثَّنَاءُ الأَحْمَدُ[5]

وهذا يعني أن التطيب في المعيشة هو مطلب ضروري للعيش في الحلال وفي مـا يرضي الله، وهو مبتغى أحد الشعراء الذي قال:

مَتَّى صَفَتِ الدُّنْيَا لِحُرٍ فَابْتَغَى بِهَا طيبُ عَيْشِي أَو خُلْوِّي مِنَ الحُزْنِ[6]

ونبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن التطيب شيء لا بد منه لأن الله تعالى لا يقبل غير ذلك فقال: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الله طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ الله أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَـا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ"[7].

---

[1]– أخرجه أبو داوود، في كتاب الترجل، باب في رد الطيب، من صحيح سننه، ص67، رقم الحديث 4172.

[2]– أخرجه أنس بن مالك، محمد السعيد زغلول، المرجع السابق، ج6، ص226.

[3]– البيت لـ علقمة بن عَبَده التميمي، الجراوي، المصدر السابق، ص129.

[4]– أخرجه البخاري، في كتاب الجِهاد والسير، باب تنمي الشهادة، من جامعه الصحيح، ج6، ص20، رقـم الحـديث 2644.

[5]– ابن الجنان، المصدر السابق، ص98.

[6]– البيت لـ أبي الصلت (ت 536هـ)، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص12.

[7]– أخرجه الترمذي، في كتاب فضائل القرآن، ج5، ص95، رقم الحديث 2989.

ثالثًا- الوقار والهيبة

1- الوقار:

هو التأني في التوجه نحو المطالب[1]، والإمساك عن فضول الكلام والعبث وكثرة الإشارة والحركة فيما يستغنى عن التحرك فيه، وقلة الغضب والإصغاء عن الاستفهام والتوقف عن الجواب، والتحفظ عن التسرع، والمباكرة في جميع الأمور[2] أما توقير الرسول عليه الصلاة والسلام فهو: الإجلال والإكرام والتشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه أي النبي تعظموه وتفخموه[3].

إن الوقار قيمة أخلاقية لازمت فئة العلماء، الأولياء، وكبار القوم وسادتهم وأئمتهم الذين انفردوا ببعض الملامح التي عززت من عظمتهم ووقارهم، وكان المشيب إحدى تلك الملامح التي تغنى بها أحد الشعراء فقال:

وَالمَرْءُ يَأْمَلُ وَالحَيَاةُ شَهِيَّةٌ وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ وَالشَّبِيبَةُ أَنْزَقُ[4]

والسكينة أيضاً هي زينة الوقار وجوهره وبها تميز الخليفة الحفصي أبا زكريا يحيى وقد أخبر بذلك ابن الأبار فقال:

سَكِينَتَهُ أَعْيَا الأَئِمَّةُ بَذْلُهَا وَهَيهَات جُلُّ الطَّودِ أَن يُشْبِهَ الدَّعْصَا[5]

فالسكينة تدعم الإيمان بالله وتقويه قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[6] وأوصى النبي عليه السلام بها فقال: "أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةُ السَّكِينَةُ فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بِالإِضَاعِ"[7] أي ليس بالإسراع.

كما لامسنا ملامح التعظيم الإجلال والتوقير في النصوص التي تخص السلاطين الخلفاء والولاة، فقيل في شأن الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله والي بجاية وبعض

---

[1]- الجرجاني، المصدر السابق، ص213.

[2]- الجاحظ، المصدر السابق، ص23.

[3]- خالد الخراز، المصدر السابق، ص263.

[4]- البيت لـ أبي الطيب المتنبي، الجراوي، المصدر السابق، ص1459.

[5]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص357.

[6]- سورة الفتح، آية 4، ص511.

[7]- أخرجه البخاري، في كتاب الحج، باب أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسكينة...، من جامعه الصحيح، ج3، ص609، رقم الحديث 1587.

المناطق في الغرب الإسلامي «...السيد الأجل الأكمل، الهُمام الأمجد الأفضل أبو الربيع ابن السيد الأجل المعظم الملك المكرم أبي محمد ابن سيدنا الخليفة الإمام الرضى أمير المؤمنين»[1].

وكتب ابن سعيد مُعظما مولاه «...مولانا الأمير المقدس على مليانة ..»[2].

هذا وقد تأكد حضور هذه القيمة في الغرب الإسلامي من خلال افتخار الشعراء بأنفسهم وأقوامهم ونقل لنا الجراوي ما قاله أحد الشعراء مفتخرا برزانته:

أَحْلاَمُنَا تَزِنُ الجِبَالَ رَزَانَةً وَتَخَالُنَا جِنًّا إِذَا مَا تَجْهَلُ[3]

شاعر آخر يفتخر بوقار قومه فالطفل عدهم مكتمل وقاره أما كبيرهم فرزانته تفوق الجبال فقال:

كَبِيرُهُم لاَ تَقُومُ الرَّاسِيَاتُ لَهُ حِلْمًا وَطِفْلُهُم فِي هَدَى مُكْتَهِلِ[4]

وتظهر الرصانة والوقار عند الثبات في الشدائد والابتلاءات والرزايا وأشاد أحد الشعراء بممدوحه الذي تعامل برزانة اتجاه نوائب الدهر فقال:

رَزِينٌ إِذَا مَا القَوْمُ خَفَّت حُلُومُهُم وَقُورٌ إِذَا مَا حَادِثُ الدَّهْرِ أَجْلَبَا[5]

وفي ذات السياق تعامل آخر بوقار مع المواقف الصعبة التي واجهته من الحرب وأسر ثم الموت الذي كان يتهدده في كل لحظة فقال مفتخرا بوقاره:

وَقُورٌ وَأُحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنُوشُنِي وَلِلْمَوتِ حَولِي جَيئَةً وَذَهَابُ[6]

وهناك قيما أخرى تتمن الوقار وتكمل رجاحة العقل مثل التعبد والعفة وهذا ما أضافه ابن سهل فقال:

أَيَّا عِلَّةَ الحَصِفِ وَصَبْوَةَ الْـ ـعَفِيفِ وَعَيْنُ النَّاسِكِ المُتَعَبِدِ[7]

ودعانا إلى تعظيمه وتوقيره فقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[8].

---

[1]- أبو الربيع، المصدر السابق، ص17.

[2]- ابن سعيد، المصدر السابق، ص69.

[3]- البيت لـ للفرزدق، الجراوي، المصدر السابق، ص636.

[4]- البيت لـ مسلم بن وليد الأنصاري، المصدر نفسه، ص232.

[5]- البيت للبحتري، المصدر نفسه، ص412.

[6]- البيت لـ متمم بن نوبرة، المصدر نفسه، ص829.

[7]- ابن سهل، المصدر السابق، ص28.

[8]- سورة نوح، آية 13، ص571.

2 – الهيبة:

في الاصطلاح العرفاني هو فوق القبض الذي يفوق رتبة الخوف وهي زائدة على التعظيم، إذ هي عبارة عن خوف منشأه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى مهابة بل الهيبة خوف مصدره الإجلال[1]، كما تعبر على أثر مشاهدة الله في القلب وقد يكون على الجمال الذي هو جمال الجلالة[2].

إن الهيبة لا تقاس بالمال والثروة بل تتحقق بإتباع طريق الحق، وقد أجاد شعراء هذا العصر في إظهار الهيبة عند النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ليتبناها أهلهم في الغرب الإسلامي وفي ذات المعنى قال ابن يخلفتن:

وَلَم يَنْأَ فِي حَالٍ عَنِ الحَقِّ غَيْبَةً كَسَاهُ إِلهُ النَّاسِ فِي النَّاسِ هَيْبَةً
وَشَتَّانِ مَا بَيْنَ النُّبُوَةِ وَالمُلْكِ

كما أن الأخلاق الفاضلة والقيم الإنسانية هي معايير للمهابة والوقار والنبي عليه الصلاة والسلام كان خلقه القرآن وجهر هيبته من حسن خلقه قال الشاعر:

مَهِيبٌ عَلَى مَا كَانَ مِن حُسْنِ خُلُقِهِ وَهُوبٌ إِذَا ظَنَّ الغَمَامُ بَودْقِهِ

ومن صور هيبته خشيته لله وهي من عظيم صور هذه القيمة قال الشاعر:

وَرَأَى الإِلَهُ مُقَدَّسًـــــا فَحَبَاهُ سِرًا لَيْسَ يُفْشَى
مَعَ قُرْبِهِ مِن رَبِّـــــهِ مَازَالَ يَرْجُو وَيَخْشِى[3]

والثابت من هيبته قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنِّي لأَعَلِّمُهُم بِالله وَأَشُدُهُم لَهُ خِشْـيةً"[4] ونصح أبو الربيع بالهيبة وخشية الله فقال:

مَهِّد لُجَنْبِكَ فِي التَّقْوَى بِخَشْيَتِهِ فَلَيْسَ شَيءٌ سِوَى التَّقْوَى تُمَهِدُهُ[5]

والهيبة من الله التي مصدرها التعظيم والإجلال جزاءها الأمن والعز في الآخر وهو ما ذكَّره به ابن الأبار في ديوانه فقال:

---

[1]– ليلى سوراني وآخرون، المرجع السابق، ص70.

[2]– المناوي، المصدر السابق، ص345.

[3]– ابن يخلفتن، المصدر السابق، (ص120، 144، 170).

[4]– أخرجه البخاري، في كتاب الآداب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، من جامعه الصحيح، ج10، ص1526، رقم الحديث 6101.

[5]– أبو الربيع، المصدر السابق، ص155.

أَيَا خَاشِيًا خَاشِعًا لاَ تُعُدُّهُمَا شِيَمًا فَالأَمْنُ وَالعِزُّ فِي الأُخْرَى لِمَن خَشِعَا[1]

ودعوته فيها إشارة لقول الله تعالى: ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

وقد تبين ظهور هذه القيمة في الغرب الإسلامي من خلال الشعراء الذين أشادوا بها عند ممدوحيهم فكان أحد الشعراء تنتابه مهابة من جلال وعظمة أحد الوزراء الذي قال فيه:

أَيْنَ الجَلالُ الَّذِي غَضَّت مَهَابَتَهُ قُلُوبُنَا وَعُيونَ الأَنْجُمِ الزُّهْرِ[3]

ويرى شاعر آخر أن المهابة تكون من الجمال:

إِلَى جَمِيلِ الْوَجْهِ ذِي هَيْبَةٍ لَيْسَت لِحَامِي الغَابَةِ المُغْضَبِ[4]

وشدت الجراوي مهابة أحد الشعراء والتي منعته من التكلم في حضرة ممدوحه مبتسما كان أو غاضبا فنقل إلينا ما كتبه في هذا المقام:

وَلاَ يُكَلَّمُ فِي حَالٍ لِهَيْبَتِهِ إِن ظَلَّ مُبْتَسِمًا أَو غَيْرَ مُبْتَسِمِ[5]

ومن صور المهابة التي جسدها أحد الشعراء وقد كانت هيبته تمنع الإغارة على ماله المهمل فلا راعي له بأقاصي البر فلا يُغار عليه، هيبة منه فقال عن ذلك:

تُغِيرُ عَنْهُ عَلَى الأَعْدَاءِ هَيْبَتُهُ وَمَالَهُ بَأَقَاصِي البِّرِ أَهْمَالُ[6]

رابعًا- الشجاعة والبأس

1- الشجاعة:

هي القدرة على مواجهة المواقف الخطيرة بحزم وإرادة قوية وتحدث عندما تكون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها[7]، وتقوم أساسا في ضبط النفس عند مواجهة الخطر وفي الظروف الأليمة، وتقوم في مواجهة الظلم بالقول والفعل، وفي احتمال أشد الآلام بصبر وثبات، وفي التغلب على الصعوبات والأخطار التي تتجاوز

---

[1]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص377.

[2]- سورة التوبة، آية 13، ص188.

[3]- البيت لـ سلطان المتوكل على الله المظفر أبي بكر محمد، ابن دحية، المصدر السابق، ص32.

[4]- البيت لـ يحي بن حكم الغزال، المصدر نفسه، ص134.

[5]- البيت لـ أبي محمد بن وكيع، الجراوي، المصدر السابق، ص756.

[6]- البيت لـ أبي الطيب المتنبي، المصدر نفسه، ص543.

[7]- ليلى سوراني وآخرون، المرجع السابق، ص43.

المعتاد، وتقوم في الخوف مع الفطنة، والتجرؤ دون التهور[1]، وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس وهو بالملوك وأعوانهم أليق وأحسن، فالشجاعة من أخلاقهم الخاصة بهم[2].

تعد الشجاعة من أعظم القيم الأخلاقية وأعلاها شأنا وأرفعها منزلة فعندما يتعرض الإنسان للخطر والهلاك من أجل حماية دينه وعرضه، أو وطنه فإن ذلك يعزز مكانته عند خالقه، وبين أفراد مجتمعه، وقد تغنى ابن يخلفتن بشجاعة النبي عليه الصلاة والسلام الذي استمات في قطع طريق الشرك والظلال، ورفع راية الإسلام فقال:

لَيْثُ الْحُرُوبِ وَمِخْلَبَا ... هُ هُنَاكَ بَتَّارُ وَخُـــرْصُ
أَضْـحَى بِصَارِمِ دِيْنِهِ ... لِجَنَاحِ دِينِ الشِّرْكِ قَـصُّ[3]

وعنه ورث مجتمع الغرب الإسلامي هذه القيمة التي غلبت عليهم فرادى وجماعات وقد برع شعراء هذا العصر في نقل كثير من الصور الصارمة والبسالة للممدوحيهم نذكر منها شجاعة الخليفة الموحدي أبي يعقوب في الدفاع عن جوانب خلافته وقد تغنى بذلك محمد بن إبراهيم بن المنخل الشلبي فقال:

شَرَفُ الخِلاَفِةُ أَن مَلَكَت زِمَامِهَا ... وَغَدَوتَ مِن عَقِبِ الإِمَامِ إِمَامِهَا
طَبَعُ الإِلَهُ لَهَا حُسَامًا إِذْ رُمْتَهَـا ... وَأَشَدُّ مَا امْتَنَعَت عَلَى مَن رَامَهَا
يَلْقَى العُدَاةَ الرُّعْبَ قَبْلَ لِقَائِـــهِ ... فَيَزِلُّ قَبْلَ قِتَالِهَا أَقْدَامَهَـــــا[4]

وأخبر أبو بكر ابن سكن الشلبي أن ممدوحه قد أحرق عدوه بسيفه الحاد واللامع بل يسجد أعداؤه كلما رأو سيفه فقال:

أَحْرَقَت عُدَاتَكَ إِذْ مَـــرَدُوا ... مِن لَمْعِ شِفَاكَ بِالشُّعْـــلِ
سَجَدَت فِي الأَرْضِ رُؤُوسَهُمُ ... بِضُبَا الأَسْيَافِ عَلَى عَجِلِ[5]

وخضعت رقاب الجبابرة الكفار للخليفة أبي زكرياء فلا يستطعون رفع سيوفهم إذا ما ظهر فقال ابن الأبار:

مَا سَلّ حُسَامًا نَاظِـــرَهُ ... إِلاَّ وُهُنَالِكَ يُغْمَـــــدُ

---

[1]– عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص178.

[2]– الجاحظ، المصدر السابق، ص27.

[3]– ابن يخلفتن، المصدر السابق، ص171.

[4]– الأبيات لـ عبد الله بن أبي بكر، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص86.

[5]– البيتين لـ أبو بكر ابن سكن، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص61.

قُبِضَت أَيْدِي الْكُفَّارِ بِـــهِ لَمَّا بُسَطْتُ فِيهِم يَدُهُ[1]

وراح أحد الشعراء إلى التحذير من شجاعة ممدوحه التي تعدل جيشا فقال:

سلْ عَن شَجَاعَتِهِ وزُرْهُ مُسَالِماً وَحَذارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْهُ مُحَارِبَـــا

إِن تَلقَهُ لاَ تَلْقَ إِلاَّ جَحْفَـــــلاً أَو قِسْطَلاً أَو طَاعِنًا أَو ظَارِبًا[2]

وابن حبوس افتخر بشجاعته ودفاعه على الدين فقال:

مَن كَانَ يَضْرِبهُم بِسَيفٍ وَاحِدٍ فَأَنَا أُضَارِ[بُهُم بِسَيفِ مُحَمَدٍ][3]

وهم بذلك يطيعون أمر الله الذي دعا إلى استنهاض الهمة وقوة العزيمة فـــي القتـــال فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[4].

ورغب النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القيمة بقوله: "المُؤْمِنُ القَوِيُ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ وَأَحَبُ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيف"[5].

كما عظم شعراء هذا العصر الشجاعة الجماعية التي دعا إليها نبي الله عليه الصلاة والسلام في قوله: "يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَة"[6] ومن بينهم ابن الأبـــار الـــذي افتخـــر بشـــجاعة الحفصيين الذين لا يخرجون من الحرب إلا وهم منتصرون فقال:

قَومٌ إِذَا وَرَدُوا الوَغَى لَم يَصْدُرِوا إِلاَّ إِذَا شُفِيَت هُنَاكَ صُـــــدُور

لاَ يعْرِفُونَ الذُّعْرَ يَومَ كَرِيهَـــة وَالمَوتُ مِن كَرَاتِهِم مَذْعُـــورُ[7]

وأشار في موضع آخر إلى شجاعة المسلمين في مشهد لهم يصف وقعة أنيشة ضـــد النصارى سنة 634هـ فقال:

مَضَوا فِي سَبِيلِ اللهِ قُدُمًا كَأَنَّمَا يَطِيرُونَ فِي إِقْدَامِهِم بِقَـــوادِمِ

---

[1]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص481.

[2]- البيتين لـــ أبي الطيب المتنبي، الجراوي، المصدر السابق، ص166.

[3]- ابن حبوس، المصدر السابق، ص263.

[4]- سورة الأنفال، آية 65، ص185.

[5]- أخرجه مسلم، في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز...، من صحيحه، ج4، ص2052، رقم الحـــديث 2664.

[6]- أخرجه الترمذي، في كتاب الولاء والهبة، ج4، ص39، رقم الحديث 2167.

[7]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، (ص173، 289).

يَرَونَ جَوازَ اللهِ أَكْرَمَ مَغْنَـــمٍ كَذَاكَ جِوارُ اللهِ أَسْنَى المَغَانِمِ

ويفتخر أحد الشعراء بقومه الذين لا تنتهي لهم عزيمة حتى بتوالي الحروب فقال:

فَوارِسٌ لاَ يَمَلُّونَ المَنَايَا إِذَا دَارَت رَحَا الحَرْبِ الزَّبُونَ

وَلاَ تُبْلَى بَسَالَتُهُم وَإِن هُم صَلُوا بِالحَرْبَ حِينًا بَعَدَ حِينِ[1]

وتغنى محمد بن صاحب الصلاة الباجي بالرجال الذين يصبحون ضراغم في الحرب وفرسان شجعان فقال:

رِجَالٌ وَلَكِّن فِي الحُرُوبِ ضَرَاغِمُ وَخَيلٌ وَلَكِّن فِي السِبَاقِ شَوَائِقُ

إِذَا عَطَشَت فِي الحَرْبِ أَفْئِدَةُ العِدَى وَقَد فَرَغُوا لِلصَّبْرِ وَهُوَ مُفَارِقُ

سَقَوهُم بِعَضْبِ السَّيفِ عَضْبًا كَأَنَّمَا لَهُ مِن مُروقِ المُرْهَانِ أَمَارِقُ[2]

وهم بذلك يمتثلون لأمر ربهم الذي قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[3].

2 – البأس:

البأسُ في هو الشدة في الحرب، وبأسا وبئيس: شجاع[4]، أما البأساء والبؤس الشدة والقوة والضر والمكروه والبأس والبأساء تكون في النكاية أكثر نحو قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾[5] وفي الحديث أن المصطفى صلى الله عليه وسلم "كَانَ يَكْرَهُ البُؤْسَ وَالتَبَاؤُسَ" أي الضراعة للفقر وتكلف الجميع[6].

إن قيمة البأس قوة نفسية تتطلب رباطة الجأش في الشدائد وقوارع الدهر وقوة خارجية تستدعي الغلظة في الدفاع عن الحق، وهو أصل كل الفضائل التي يتزين بها الزمن هكذا وصفها ابن الأبار في قوله:

---

[1]– البيتين لـــ أبي الغُول الطُهوِي، الجراوي، المصدر السابق، ص291.

[2]– الأبيات لـــ أبي عبيد الله بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي، ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص106.

[3]– سورة الأنفال، آية 15، ص178.

[4]– الفيروز آيادي، المصدر السابق، ص532.

[5]– سورة النساء، آية 84، ص91.

[6]– المناوي، المصدر السابق، ص69.

وَمَا زِينَةُ الأَزْمَانِ إلاَّ مَنَاقِبٌ يُفَرِعُهَا أَصْلاَنُ بَأْسُ وَنَائِلٌ[1]

وتبرز هذه القيمة في أرقى درجاتها حين ترتبط بقيما أخرى ترسخ أهدافها السامية فارتبط البأس مع الكرم والجود الذي مارسته القبائل العربية، فاستعار الجراوي النفس البدوية ليخاطب تلك القبائل بشيمها، فيستميلها إلى خدمة الخليفة الموحدي فقال:

هُم المُضْرِبُونَ الَّذِينِ سُيُوفَهَم صَوَاعِقٌ بَأْسٌ تَنْتَحِي كُلَّ كَافِرٍ
أَوَائِلَهُم فِي الجُودِ وَالبَأْسِ غَايَة وَكَم تَرَكُوا مِن غَايَةٍ لِلأَوَاخِرِ[2]

ومن نبل أخلاق المقاتل في ساحة الوغى أن لا يطلق العنان لسيفه، ويحسن إلى الضعيف، العاجز والمعتر ... وهي الصورة التي تمثلها أبو زكريا الخليفة الحفصي وعنه قال ابن الأبار:

أَمَّا أُبو زَكَرِياء الإِمَامُ عَلَى وِفْق المَعَالِي فَقَوالٌ وَفَعَّالُ
لَلْبَأْسِ وَالجُودِ فِي يُمْنَاهُ حُكْمُهُمَا ضَرْبٌ وَطَعْنٌ وَإِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ

ومما يعزز هذه القيمة استعمالها في الدفاع عن شرف البلاد والعباد وهو ما أشار إليه ابن الأبار في ذات السياق فقال:

هُمَامٌ صِيغِ مِن كَرَمٍ وَمَجْدٍ وَأُوتِيَّ شِيْمَتِي خَيْرٌ وَخِير
تَقَّحَم غَمْرَةَ الأَخْطَارِ لَمَّا سَمَا هِمَمًا إِلى نَيلِ الخَطِير[3]

كما أن الحياء واللين من القيم المتحكمة في البأس أثناء الحرب والتي تميز بها رمح الممدوح الذي أخبر به التطيلي قائلا:

يُقَدِمُهَ بَأسُ الحَدِيدِ إِلَى الوَغَى فَيعْطِفُهُ لِينَ القَضِيبِ إِلى الدِّلِ[4]

ومن فضلى الأخلاق التسامح وهي قمة الشجاعة الروحية التي تميز بها الأمير محمد عندما بايعه الخليفة عبد المؤمن على مراكش سنة 547هـ وبهذه المناسبة أنشد الشاعر إسماعيل بن عمر المعروف بابن الشواش المغربي فقال:

---

[1]- ابن الأبار، الديوان، المصدر السابق، ص248.

[2]- الجراوي، المصدر السابق، ص17.

[3]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص205.

[4]- البيت لـ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد التطيلي، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص41.

تَصَوَّرَ شَخْصًا رُكِّبَ البَأسُ وَالنَّدَى صَرِيحَينِ فِيهِ لِلْعُلاَ فَتَرَكَبَـــا
فَلْولاَ نَدَى رَاحَتَيْـهِ تَلَهَبَـــــا وَلْولاَ اسْتِعَارُ البَأْسِ فِيهِ تَسَرَبَا[1]

ولما كان البأس هو من الصفات التي حارب بها المجرمين سار أهل الحق على النهج الإسلامي قال تعالى: ﴿وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[2] كما يكون البأس للرد على أهل الضلالة قال تعالى في غير موضع: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[3].

وتغنى شعراء هذا العصر بهذه القيمة في مدحهم للخلفاء ومن بينهم ابن الأبار الذي قال على الخليفة أبي زكريا أنه عندما كان في ساحة الحرب لقتال ابن غانية أصبح أسدا وبدل الزفير أضحى له زئيرا من قوة بأسه فقال:

وَكَم غَشِي الوَغَى وَلَهُ زَئِيـــرٌ فَبُدِلَ بِالزَّفِيرِ مِنَ الزَئِيرِ[4]

وكل الطغاة يعترفون بظلمهم عندما يشتد عليهم البأس قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[5].

خامسًا- البلاغة والفصاحة

1- البلاغة:

البلاغة في المتكلم: مَلَكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ، والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال، والمراد بالحال الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص مع فصاحة الكلام، وقيل البلاغة تنبئ عن الوصول والانتهاء ويوصف بها الكلام و المتكلم[6] والكلام البليغ يجمع ثلاثة أوصاف، صواب في موضع لغته وطبقا للمعنى المقصود به وصدقا في نفسه، ومتى أُختل شيء منه أختلت البلاغة.[7]

---

[1]- البيت لـ ابن الشواش المغربي، تحفة القادم، المصدر نفسه، ص66.
[2]- سورة يوسف، آية 110، ص248.
[3]- سورة الأنعام، آية 42، ص132.
[4]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصد السابق، ص208.
[5]- سورة الأعراف، آية 5، ص151.
[6]- الجرجاني، المصدر السابق، (ص42، 43).
[7]- المناوي، المصدر السابق، ص83.

لقد ركزت الحركة الفكرية منذ بدايتها على الجانب العلمي وتعليم القرآن وغرس مبادئ اللغة العربية، والتنبيه إلى الإعجاز النبوي وقدرته العالية على تبليغ الناس وذلك لتعميم الفهم، والتخاطب البلاغي القرآني العربي الرصين في كل بلدان الغرب الإسلامي وقد شهد ابن يخلفتن على بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم فوصفها بقوله:

فَآيَاتُهُ فِي كُلِّ وَجهٍ سَنِيَّةٍ جَوَابٌ بِصَوتٍ مُفْصِحٍ وَتَحِيَّةٍ
بِنُطْقٍ صَحِيحُ اللَّفْظِ لاَ يَتَلَجْلَجُ[1]

وهذا البيان النبوي كان بفضل الوحي الإلهي قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2].

وبفضل تضافر جهود العلماء والسلاطين وتشجيعهم ودعمهم للحركة الفكرية شهد الغرب الإسلامي بضفتيه نضج بلاغي لافت للانتباه، ومن فحول البلاغة الذين جاد شعراء هذا العصر في مدحهم نذكر: الجراوي الذي قال فيه ابن الأبار: «كان عالما بالآداب حافظا، بليغ اللسان، شاعرا مغلقا» وهو ما أتاح له فرصة مجالسة الخلفاء الموحدين منهم عبد المؤمن (524– 558ه)، ثم أبا يعقوب يوسف (558 – 580ه) ثم المنصور (580 – 595ه) والناصر(595 – 610ه) وجالس من المشرق ابن منقذ وهو رسول صلاح الدين بن أيوبوما أتيح لأحد مجالسته سواه[3].

وتتحقق البلاغة عندما يكون اللفظ فصيحا، والنظم محكما ودلالته على المعنى منتظمة وافية، وهو ما توفر في كلام محمد بن ذمام ظهر ذلك من خلال الرسالة التي راجعه بها ابنه أبا محمد عبد الله ابن ذمام الكاتب المرسي فقال:

بَنَانُك مِن بَحْرِ المَعَارِفِ تُنْفِقُ وَذِهْنُك لِلْمَعْنَى البَدِيعِ مُوَفَّقُ
فَنَضْمُكَ دُرٌّ أَنْفَسُ الدُّرِ دُونَه وَنَثْرَك مِسْكٌ طَيِّبُ العُرْفِ يَعْبَقُ
وَأَنْتَ مَلِيكٌ لِلْبَلاَغَةِ كُلِّهَا وَرَايَاتُهَا مِن فَوقَ رَأْسِكَ تَخْفِقُ[4]

[1]– ابن يخلفتن، المصدر السابق، ص38.
[2]– سورة النجم، آية 3، ص526.
[3]– الجراوي، المصدر السابق، ص10.
[4]– الأبيات لـ أبي محمد عبد الله، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص104.

وقيمة البلاغة تعزز مكانة صاحبها وتزينها وبذلك يصبح مفخرة لقومه ومجتمعه وهو ما حصل مع ابن الجنان المتفرد ببلاغته حسب أحد الشعراء الذي قال عنه:

يَا وَاحِدَ الدَّهْرِ قَولاً لاَ أُنَازِعُهُ إنْكَارُ بُرْهَانِهِ، عَجْزٌ وَتَعْطِيلُ

لَكَ البَلاَغَةُ قَد أَبْلَغَتَ حُجَّتَهَا حَتَّى تَبَيَّنَ مَحْصُورُ وَمَحْصُولُ

ومن فنون الخطابة حسن البلاغة التي تلفت إنتباه السامعين، وهو ما حازه المتوكل على الله عبد الله محمد بن يوسف (ت 635هـ) فكتب عنه أحد الفقهاء:

ذَو حُجَّةٍ وَبَلاَغَةٍ وَفُصُولُ أَنْوَاعُ الكَلاَمِ[1]

وفتح أحد الشعراء باب الرثاء ليتذكر مناقب ممدوحه وعلى رأسها بلاغته فقال:

ثَكِلَتْكَ أَرْضٌ لَم تلِد لَكَ ثَانِيًا أَنَّى وَمِثْلُكَ مُعْوَزُ المِيلاَدِ

وَمِن لِلْفصَاحَةِ وَالبَلاَغَةِ إِن هَمَى ذَلِكَ الغَمَامُ وَعَبَّ ذَاكَ الوَادِي[2]

وسِر التضلع البلاغي لمسلمي الغرب الإسلامي هو القرآن المنزه الأخطاء.

قال تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[3].

2- الفصاحة:

هي الإبانة والظهور، وهي في المفرد خلوصه من تنافر الحروف والعزابة ومخالفته للقياس[4]، وفي الكلام: خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات مع فصاحتها نحو: زيد أجلل، وشعره مُسْتَشْزر، وأنفه مسرج، وفي المتكلم: ملكة يقتدر لها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح[5].

إن قيمة الفصاحة تضيف الوقار والمهابة لصاحبها وتثمن مكانته بين قومه وفي مجتمعه، ولذلك كانت هناك فئة في الغرب الإسلامي يتعمدون التفصح في خطابهم ونَظمهم لتحقيق أهدافهم الشخصية مثل التقرب إلى السلاطين... فكان المدح إلى حد

---

[1]- الأبيات لـ أبي عبد الله، ابن الجنان، المصدر السابق، (ص144،147).

[2]- البيتين لـ للشريف الرضي، الجراوي، المصدر السابق، ص888.

[3]- سورة الملك، آية 3، ص562.

[4]- الجرجاني، المصدر السابق، ص141.

[5]- المناوي، المصدر السابق، ص261.

التعظيم والإجلال للخلفاء ومن ذلك نذكر ما تغنى به ابن الأبار في فصاحة الخليفة أبو زكريا الحفصي التي لا تضاهيها فصاحة الفحول فقال:

وإن هَدَرَت فَصاحَتُهُ بِحَفْلٍ أَرَّمَت لاَ تُرَاجِعُهُ الفُحُوْلُ
أَجَادَ، مُؤَيدًا، فِي كُلِّ عَلْيَا وَجَادَ بِمَا الغُمَامُ بِهِ بَخِيلُ[1]

ومن شروط الخطاب التمرس والتمكن من الفصاحة العربية الرصينة التي تتكفل بتحقيق الوعي الإنساني كما تثمر بتحقيق أهدافها المنشودة وهو ما رآه أحد الشعراء مجسدا في الخُطب التي تكلمت عن فتح الخليفة الموحدي أبي يعقوب لـــ قفصة سنة 576هـ فقال:

وَلَمَّا انْقَضَى الفَتْحُ الَّذِي كَانَ يُرْتَجَى وَأَصْبَحَ حِزْبُ الله أغلَبَ غَالِبِ
وَسَاعَدَنَا التَّوفِيقُ حَتَّى تَبَيَّنَت مَقَاصِدَنَا مَشْرُوحَةٌ بِالعَوَاقِبِ
وَعَى مِن لِسَانِ الحَالِ أَفْصَحَ خُطْبَةٍ وَمَا ضَمِنْت عَنْهُ فِصَاحَ القَوَاضِبِ[2]

فالخطاب يحتاج الفصيح من القول ولذلك طلب موسى عليه السلام من الله أن يرسل معه أخاه هارون الأفصح منه لتبليغ قومه قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾[3].

كما دعاه أيضا أن يفك عقدة لسانه فقال: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[4].

ويفتخر أحد الشعراء بفصاحته التي لم يجد غيرها مؤنسا له في وحشته فقال:

فَإِنِّي بِآدَابِي أَتَيْتُ جَزِيرَةً فَعُوقِبْتُ مِنْهَا بِالإِقَامَةِ فِي حَبْسِ
وَهَل وَحْشَةُ الإِنْسَانِ إِلاَّ بِمِثْلِهَا فَصِيحَ لِسَانٍ بَينَ أَلْسُنِ خُرْسِ[5]

والفصاحة تضفي إلى صاحبها جمالا وبهاء ورونقا فيتأنق بألفاظه المنتقاة وهو ما تميز به أحد الفقهاء الذي قال عنه ابن الجنان:

---

[1]– ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص244.

[2]– الأبيات لـــ أبي بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص98.

[3]– سورة القصص، آية 34، ص389.

[4]– سورة طه، آية 27، ص313.

[5]– البيتين لـــ أبي الأصبغ عيسى بن محمد العيدري، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص83.

أَخْذُ الفَصِيحِ مِنَ اللُّغَاتِ تَأَنُّقًا فِيهَا وَغَيْرُ فَصِيحِهَا أَلْغَـــــاهُ
فَكَأَنَّ وَضْعُ اللِّسَانِ فَعِـــنْدَهُ أَصْلُ اللِّسَانِ وَعِنْدَهُ مَبْنَـــــاهُ
فَلَدَيْهِ فِي صَوْغِ الكَلاَمِ وَسَوقِهِ أَيَّدَ أَمَدَّ بِهِ إِلَى الإِلَهِ قِـــــوَاه
اللهُ أَلْهَمَهُ البَيَانُ وَلَـــو أَرَى رَأْيَ الغُلاَةَ لَقُلْتُ: بَلَ أَوْحَـاهُ[1]

والله سبحانه وتعالى هو معلم الناس البيان والفصاحة فقـال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[2] ومن الفصاحة ما يسحر الأسماع من دقة ألفاظها وسلاستها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا"[3].

سادسًا- البشر والتبسم

1- البشر:

البشارة هي الخبر الصادق خيرا كان أو شر واستعماله في الخير أغلـب وبشـرت الرجل وأبشرته وبشرته أخبرته بسار بسط بشرى وجهه فالنفس إذا سُـرت انتشـر الـدم انتشار الماء في الشجرة[4]، ويشترط في البشارة الصدق الذي تتغير منه بشرة الوجه خيرا كان أو شرا لكن الخير أغلب، أما التبشير فهو كل إخبار فيه سرور[5]، وقال علي بن أبـي طالب رضي الله عنه: «البشر شيمة الحر»[6].

إن التبشير بالخير هو من فضلى القيم وضرورياتها في حياة المسلمين لأنـه يعـود بفوائد صحية وروحية مهمة مثل راحة النفسية وهدوء الأعصاب والتقليل من الأمـراض وينجر عن ذلك أيضا فوائد جمالية تكمن في بهاء ونظارة الوجه بفعل البشاشـة والتبسـم وأسمى بشارة تلقاها المسلمين كانت بقدوم النبي صلى الله عليه وسـلم مصـلحا ومعلمـا ومبشرا وبهذه المناسبة كتب ابن الجنان فقال:

فَتَفَاءَلُوا نِعْمَ اليَتِيمِ يَتِيمَا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا
لَمَّا تَرَعْرَعَ جَاءَهُ المَلَكَانِ

---

[1]- ابن الجنان، المصدر السابق، ص167.
[2]- سورة الرحمان، آية 14، ص531.
[3]- أخرجه البخاري، في كتاب الطب، باب إن من البيان لسحرا، ج10، ص247، رقم الحديث 5434.
[4]- المناوي، المصدر السابق، ص78.
[5]- الجرجاني، المصدر السابق، ص42.
[6]- ناصح الدين الآمدي، المصدر السابق، ص30.

بِالطِّسْتِ فِيْهَا حِكْمَةُ الرَّحْمَانِ
فَاسْتَخْرَجَا القَلْبَ العَظِيمَ الشَّانِ

وكان يحمل هم أمته حتى إذا أدركه الموت فقال: أمتي، فقيل له: أبشر سيلقون الخير وقال الشاعر في هذا الصدد:

سَلاَمٌ عَلَى مَن قَالَ فِي المَوتُ: أُمَّتِي فَقِيلِ لَهُ: أَبْشِر سَيَلْقَونَ أَسْعَدَ[1]

وقد أُرسل مبشرا لأمته هاديا لها قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[2].

وفي هذا العصر عمت بشائر الخير في الغرب الإسلامي ويأتي في مقدمتها التبشير بفتوح بعض البلدان المغربية مثل فتح قفصة وإفريقية الذي هنأ به عديد الشعراء ومن بينهم أبي الربيع الذي هنأ به الخليفة الموحدي يعقوب المنصوب بهذه الأبيات:

وَاسْتَبْشَرَ الفُلْكَ الأَثِيرَ تَيَقُّنًا أَنَّ الأُمُورَ إِلَى مَرَادِكَ تَرْجِعُ
وَأَمَدَّكَ الرَّحْمَانُ بِالفَتْحِ الَّذِي مَلأَ البَسِيطَةِ نُورَهُ المُتَشَعْشِعُ[3]

كما وردة تهنئة من أحد الشعراء في كتاب المن بالإمامة فقال:

فَتَحٌ يَفُوتُ مَدَارِكَ الأَوْهَامِ وَيَعْجِّزُ الإِحْصَاءُ بِالأَقْلاَمِ
خَيرُ البَشَائِرِ صَوغَت حَمْلُ المُنَى بِقُفُولِ خَيرِ خَلِيفَةً وَإِمَامُ
وَافَت كَمَا ابْتَسَمَ الأَمَانُ لِخَائِفٍ وَأَنْهَلَ أَثَرُ المَحَلِّ سَكْبُ غَمَام[4]

أما ابن حمادو المغربي كاتب وشاعر له ديوان (ت 627هـ) فقد هنأ بفتح إفريقية قائلا:

فُتُوحٌ لَهَا فِي كُلِّ يَومٍ تَلاَحُق كَمَا اسْتَبَقَت يَومَ الرِّهَانِ السَوَابِقُ
بَشَائِرُ تَعْلُوهَا تَبَاشِيرُ مِثْلَمَا تَبَلَجَ صُبْحٌ أَو تَأَلَقَ بَارِقُ[5]

---

[1]– ابن الجنان، المصدر السابق، (ص151 – 94).

[2]– سورة البقرة، آية 119، ص18.

[3]– أبو الربيع، المصدر السابق، ص20.

[4]– الأبيات لـ أبي مروان عبد الملك بن محمد، ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص450.

[5]– البيتين لـ محمد بن علي بن حمادون، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص193.

وحال هؤلاء يحاكي ما قاله الله في محكم تنزيله: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] وتتحقق البشرى عندما يسعد الناس بقضاء حوائجهم، مثل من يرزق بمولود جديد، وهو الحاصل في هذا العصر فقد هنأ ابن الجنان الوزير أبا بكر بطلوع طائر السعد فقال:

هَنِيئًا بِهِ مُجْلِي العُلاَ وَالمَحَامِدُ وَأَسْعَدَ مَولُودٍ لأَمْجَدِ وَالِـــدِ
بِشَارَةُ ذِي وِدٍ كَمِثْلِي لِقَوْمِـــهِ وَغَيضًا بِهِ يَحْظَى لِقَا كُلِّ حَاسِدِ[2]

والتبشير بنعمة الولد واردة في الإسلام لقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[3].

كما يستبشر الناس بالشفاء من الأسقام، وقد بشر ابن الأبار بشفاء الخليفة وبيعه أمير مكة لأبي عبد الله المنتصر الحفصي فكتب في ذلك:

إنَّ البَشَائِرَ كُلَّهَا جُمِعَـــت لِلدِّينِ وَالدُّنيَا وللأُمَـــمِ
فِي نِعْمَتَينِ جِسَيمَتَينِ هُمَـــا بُرْءُ الإِمَامِ وَبَيْعِةُ الحَرَمِ[4]

وبشر الإسلام كل مؤمن مُبتلى بأذى أو هم، أو ألم بتكفير ذنوبه جزاء لتحمله وصبره وقد أخبر بذلك نبي الله فقال: "مَا أَصَابَ مِن مُؤْمِنٍ مِن شَوْكَةٍ فَمَـا فَوقَهَـا، فَهُـو كَفَّارَةٌ لَهُ"[5].

ورغب شعراء هذا العصر بالأعمال الصالحات التي ترضي الله وبشروهم بالجنة لقاء ذلك ومن بينهم ابن الأبار الذي قال:

وَإِنْ اعْتَمَدْتَ الصَّالِحَاتِ مَزَاوِدًا وَعَلِمْتَ أَنَّ العَيشَ ظِلٌّ زَائِلُ
أَبْشِر بِفِرْدَوْسِ الجِنَانِ فَإِنَّهَـــا لِلنَّاسِكِينَ مَسَاكِنٌ وَمَنَـــازِلُ[6]

وكان ذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾[7] وفي اتجاه آخر كان الناس في الغرب الإسلامي يستبشرون بقدوم الخلفاء فعندما عبر الخليفة

---

[1]- سورة آل عمران، آية 171، ص72.

[2]- ابن الجنان، المصدر السابق، ص105.

[3]- سورة الصافات، آية 101، ص449.

[4]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص304.

[5]- أخرجه الألباني، محمد السعيد زغلول، المرجع السابق، ج9، ص35.

[6]- ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص267.

[7]- سورة البقرة، آية 25، ص05.

أمير المؤمنين أبي محمد عبد المؤمن بن علي البحر من سبته الأندلس ونزوله في مرفأ جبل طارق سنة 555هـ وبعد فتحه لجميع إفريقية نقل لنا تباشير اللقاء عبد الملك بن صاحب الصلاة فقال: «ولما أنارت الأفاق بالعدوة والأندلس بالبشائر الواصلة بقرب الخليفة في الإياب من المسير، على أوفى الظفر والتيسير...»[1].

كما هنأ احد الشعراء بهذا اللقاء فقال:

إِذَا مَا ذَكَرنَاهُ ضَاقَ أَمْرُنَـــا تَفَرَّجَ حَتَّى صَارَ مُتَسَعًا رَحْبَـــا!

كَذَلِكَ مَن يَلْقَى الخَلِيفَةَ تَلْقَـــهُ بَشَائِرٌ يَسْتَجْلِي بِهَا السَّهْلَ وَالرَّحْبَا ![2]

فمنَّ الله تعالى ببشائر الخير على المسلمين فقال: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[3] كما كانوا يستبشرون أيضا بفضائل الخلفاء عليهم فيمدحونهم لقاء ذلك ونذكر منهم ما كتبه أحد الشعراء عن أحد الخلفاء الموحدين:

وَأَمَّا وَإِغْضَاءُ الخَلِيفَةِ شَامِلُ فَبُشْرَى بِمَا نِلْنَا بِهِ الخَيْرُ وَالأَمْنَا[4]

وقد بشر نبي الله عليه الصلاة والسلام أهل الخير بمكانتهم عند الله فقال: "أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُم لِلنَّاسِ"[5].

2- التبسم:

تبَسَمَ يَبسِمُ تَبسما وابتسم وتبسم: وهو أقل الضحِكِ وأحسنُهُ، فهو باسِمُ ومبسامُ وبَسامُ والمبسِمُ الثغر[6]، قال صلى الله عليه وسلم: "إِنَكُم لاَ تَسْعَونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُم وَلَكِّنْ يَسَعَهَم مِنْكُم بَسْطَ الوَجْهِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ" والتبسم مالا يكون مسموعا له ولجيرانه[7].

إن قيمة الابتسامة تأتي لتثمن البشر وطلاقة الوجه، وتفتح أبواب لفضائل أخرى مثل التواضع، التسامح، الألفة والمحبة بين الناس، وكان لتبسم البعض أثره عند شعراء هذا العصر وهو ما دفعهم إلى مدحهم سعيا منهم لتعميم هذه القيمة وإبراز أثارها الطيبة في

---

[1]- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، (ص 92، 93).

[2]- البيتين لـ أبي بكر بن المنخل الشلبي، ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص97.

[3]- سورة يونس، آية 64، ص216.

[4]- البيت لـ أبي السن علي بن لُب بن شليُون، المعافري، ابن الأبار، تحفة القادم، المصدر السابق، ص216.

[5]- أخرجه الطبراني، محمد السعيد زغلول، المصدر نفسه، ج1، ص133.

[6]- الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص1080.

[7]- أخرجه الألباني، محمد السعيد زغلول، المرجع السابق، ج3، ص508.

المجتمع، فالتبسم في الظروف الصعبة يدل على الشجاعة الرزانة والتحكم في زمام الأمور، وهذا ما ظهر عند الخليفة الحفصي أبي زكريا الذي كان متبسما متهللا في ساحة الهجاء يُدِير رَحى الحرب وعنه قال ابن الأبار:

كَأَنَّ سِرْجًا سَاطِعَ [فِي] جَبِينِهِ إِذَا مُسَرَّجٌ فِي الحَرْبِ سَاعَدَ مُلْجَمَا
يُدِيرُ رَحَاهَا بَاسِمًا مُتَهَلِّلاً بِرَأْدِ ضُحَاهَا عَابِسًا مُتَجَهِّمَا
وَأَكْثَرُ مَا نَلْقَاهُ جَذْلاَنَ ضَاحِكًا إِذَا مَا بَكَى الخَطِيُّ فِي كَفِّهِ دَمَا[1]

وكان مقتديا في ذلك بتسم النبي صلى الله عليه وسلم أثناء غزوة بدر ولما سُئِل عن السبب قال: "مَرَّ بِي مِيكَائِيلُ وَعَلَى جَنَاحِهِ أَثَرُ الغُبَار وَهُوَ رَاجِعٌ مِن طَلَبِ القَوْمِ، فَضَحِكَ إِلَّي فَتَبَسَّمْتُ إِلَيْه"[2].

ومن بشَّ للناس وجها عند زيارته فإن ذلك يُنمي عن رحابة صدره وسعته وهو ما يبعث بالارتياح والفرح في نفوس ضيوفه، وهي ما توسم به الخلفاء الموحدون ومن بينهم الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي الذي قال عنه أحد الشعراء:

جَمَّ المَوَاهِبِ لِلزُّوَارِ مُبْتَسِمٌ يَسْتَغْرِبُ النَّاسُ وَقْتًا فِيهِ لَم يَهِبُ
خَلِيفَةُ اللهِ بَادِي العِلْمَ مُبْتَسِمٌ عَن جَوْهَرٍ مِن بَدِيعِ النَّظْمِ مُنْتَخِبِ[3]

وقد رغب الإسلام في التبسم عند مقابلة الناس فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "وَلَو أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْق"[4].

والتبسم له آدابه التي يفقهها المسلم، وقد ذكرها أحد الشعراء في ثنايا رثاءه لـ أبي عامر بن حسون صاحب مالقة فقال:

لَمَّا تَبَدَّى قُلْتُ مَاذَا بَشَرٌ وَلاَ حَوَى حُسْنُ حُلاَّهُ القَمَر
وَهَل لَهُ ثَغْرٌ بِنَيْلِ المُنَى مُبتَسِمًا أَو نَاطِقًا فِي الدَّرَرِ[5]

وتضفي البشاشة والتبسم إلى الوجه بهاء وجمالا ونورا، وهو ما حازه ابن هَمْشُك التَنمُلِي الشيخ والفقيه الأندلسي فوصف حسنه أحد الشعراء في القدح المعلى فقال:

---

[1]– ابن الأبار، ديوان شعره، المصدر السابق، ص283.

[2]– أخرجه الطبراني، محمد السعيد زغلول، المرجع السابق، ج9، ص388.

[3]– البيتين للقرشي الأمي القرطبي، ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص105.

[4]– أخرجه ابن حبان، محمد السعيد زغلول، المرجع السابق، ج7، ص82.

[5]– البيتين لـ أبي النعيم رضوان بن خالد المالقي، ابن سعيد، المصدر السابق، ص185.

وَقُلْتُ لَمَّا رَاقَنِي حُسْنَهُ مَقَالَ مَعْنَىً يَلْثِمُ المِلاَحَ

كَأَنَّمَا يَبْسَمُ عَن لَؤْلُـــــؤٍ مُنَضَّدٍ أَو بَرْدٍ أَو أَقَاح[1]

وقد عظم الإسلام هذه القيمة حين جعلها بمكانة الصدقة وأثاب عليها فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "تَبَسَّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَة"[2] وذكر في القرآن تبسم النبي سليمان عليه السلام لنملة عندما سمعها تحذر قومها من جيشه قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[3].

[1]– البيتين لـــ أبي علي الحسن بن ياسين، ابن سعيد، المصدر السابق، ص106.

[2]– أخرجه الترمذي، في كتاب الأحكام والوصايا، باب ما جاء في صنائع المعروف في الجامع الكبير، ص505، رقـــم الحديث 1956.

[3]– سورة النمل، آية 19، ص378.

الخاتمة

إن دراسة المنظومة القيمية السائدة في الغرب الإسلامي خلال القرنين 6-7هـ/12-13م في مضامين المدونة الأدبية الوسيطية، أفضت إلى عدة نتائج وهي:

- أن التاريخ منفتح على عدة معارف ومن بينها المدونة الأدبيـــة التـــي أضـــاءت ملامح النسق القيمي السائد في الغرب الإسلامي.

- وبفضل الخطاب الأدبي الذي ينساب لسد ثغرات الجانب النفسي، تمكنا من رصد عديد القيم الروحية السائدة في هذا العصر، وفي مقدمتها الحياء الذي كشف عن مظاهر الالتزام في اللباس، ونزر الكلام، وغض البصر..

- كما أسهمت المدونة الأدبية في تأطير قيم التواصل الاجتمـــاعي التـــي عكســـت التعامل الزاخر بأسمى الفضائل الأخلاقية.

- وأثنت المدونة الأدبية الوسيطية على قيم الكمال الجســـماني حتـــى أوحـــت لنـــا بضرورتها في بناء الشخصية الحضارية التي تتعزز صورتها بفصاحة الكـــلام وحســـن المظهر وشجاعة البدن.

- وقد شهدت بعض القيم حضور قوي ومكثف في المدونة الأدبية مثـــل الشـــجاعة الجود والسخاء وفي ذلك دليل على أصالتها في مجتمع الغرب الإسلامي.

- وفي انسجام الرؤية الأدبية للقيم، مع الرؤية الشرعية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، تأكيد على مصداقية القيم في المدونة الأدبية الوسيطية.

- وتجدر الإشارة في الأخير أن دراسة المنظومات القيمية، أصبحت ضرورة ملحة تفرض نفسها في وقتنا الراهن أكثر من أي وقت مضى، وذلك للثبات في الدين والتخلص من التداعيات المحاكة ضده، وبناء شخصية سوية متوازنة والنهوض بـــالوطن وبالأمـــة الإسلامية جمعاء، ولذلك وجب تكثيف دراستها والاستفاضة في إشكالاتها من خلال طرق مآخذ ومقاربات وروافد تاريخية جديدة التي تتأتى بالتحكم في آليات المنهج التاريخي مـــن نقد وتحليل وتعليل وتمحيص.

الورّاقيـة

الورّاقية:

القرآن الكريم

1-المصادر:

- ابن الأبَار، أبو عبد الله محمد القضاعي البلنسي، (ت 658ه)، **تحفة القادم**، تح، إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، 1986.
- **ديوان شعره**، تح، عبد السلام هراس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1999.
- **التكملة لكتاب الصلة**، تح، السلام الهراس، دار الفكر، للطباعة النشر والتوزيع، بيروت، 1995، ج1، ج2.
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داوود، ط1، مكتبة للنشر والتوزيع المعارف، الرياض، 1998، ج1، ج2، ج3.
- الجامع الصغير وزيادته، تح، الشاويش زهير، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988،ج1.
- الآمدي، أبو الفتح ناصح الدين عبد الواحد بن محمد التميمي، (ت 550ه)، غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تح، عبد الحسن دهيني، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1992.
- أنيس إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004.

التطيلي، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة، ديوان شعره، تح، إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، بيروت، 2018.

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(ت256ه)، صحيح البخاري، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 2002.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى(ت 279ه)، الجامع الكبير، تح، بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1996، ج4.
- الجراوي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام التادلي (ت 609ه)، الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، تح، محمد رضوان الداية، ط2، دار الفكر، دمشق، 2005، ج1.

- الجرجاني، علي بن محمد (ت 816هـ-1413م)، معجم التعريفات، تح، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004.
- ابن الجنان، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي (ت 646هـ)، ديوان شعره، تح، منجد مصطفى بهجت، كلية الآداب، الموصل، العراق، 1990.
- ابن حبوس، أبو عبد الله محمد بن حسن الفاسي (ت 575هـ)، ديوان شعره، مجلة المناهل، ع:50، وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربية، 1996.
- ابن حجر العسقلاني، الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي(ت 852هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح، شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، دار الرسالة العلمية، دمشق، 2013، ج1.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت 808هـ)، المقدمة، تح، عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار يعرب، دمشق، 2004، ج1.ج 10.
- ابن دحيه، أبو الخطاب عمر بن حسن الكلبي السبتي (ت 633هـ)، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح، إبراهيم أبياري وآخران، دار العلم للجميع، بيروت، 1955.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 666هـ)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1986.
- أبو الربيع، الأمير سليمان بن عبد الله الموحدي (ت 604هـ)، ديوان شعره، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي وآخرون، منشورات كلية الآداب، المغرب، (د، ت).
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل (ت 506هـ)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تح، أبو زيد العجمي، ط1،دار السلام للطباعة والنشر، مصر، 2007.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني الأندلسي (ت 549هـ)، جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب، تح، محمد حسن قزقزان، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2008، ج1.
- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المذحجي الغرناطي(ت 685هـ/1286م).
- **اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى**، تح، إبراهيم الأبياري، ط2، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1959.

- **وشي الطرس في حلى جزيرة الأندلس** ، تح، شوقي ضيف، نشره بعنوان، **المغرب في حلى المغرب**، ط 4، دار المعارف، القاهرة، 1964، ج1.

- ابن سهل، أبو إسحاق إبراهيم الإسرائيلي الإشبيلي (ت 649هـ)، ديوان شعره، تح، يسرى عبد الغني عبد الله، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987.

- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك (ت 594هـ)، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح، الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، 1987.

- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، القاموس المحيط، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2005.

- الفيومي، أحمد بن محمد المقري، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، 1987.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح، عبد الله التركي وآخران، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006، ج10.

- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت 691 -751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح، لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج2.

- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت691 -751هـ)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تح، إسماعيل بن غازي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، جدة.

- ابن مرج الكحل، أبو عبد الله محمد بن إدريس الأندلسي (ت 634هـ)، تح، البشير التهالي ورشيد كناني، ط1، مكتبة القراءة للجميع، المغرب، 2009.

- مسلم،أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)،صحيح مسلم، تح، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1954.

- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد القرشي التلمساني (ت 1041هـ -1632م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1988، ج1، ج2، ج3.

- ابن المناوي، عبد الرؤوف (ت 952هـ - 1545م)، توقيف على مهمات التعاريف، تح، عبد الحميد صالح حمدان، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1990.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل الأصفهاني، لسان العرب، ط1، تصحيح محمد أمين عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1999، ج11.

- **المراجع:**

- **الكتب:**

- بسيوني، رسلان صلاح الدين، القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 1990.
- بسيوني زغلول، أبو هاجر محمد السعيد، موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1969.
- بوتشيش، إبراهيم القادري، المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع- الذهنيات- الأولياء، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993.
- التطاوي، عبد الله، الشاعر المؤرخ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1995.
- الجزار، خالد بن جمعة، موسوعة الأخلاق، ط1، مكتبة أهل الأندلس، للنشر والتوزيع، الكويت، 2009.
- حبنكة الميداني، عبد الرحمان حسن، الأخلاق الإسلامية و أسسها، ط5، دار القلم، دمشق، 1999.
- الدهامي، عبد الرحمان بن عبد العزيز، الثبات في زمن الفتن، قرأه وقدم له عبد الرحمان بن صالح محمود، ط1، دار الوطن للنشر، 2012.
- سلمان علي، سلمى، القيم الخلقي في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط1، دار الآفق العربية، القاهرة، مصر، 2007.
- سوراني، ليلى وآخرون، معجم المصطلحات الأخلاقية، تح، عباس نور الدين، ط1، بيت الكاتب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006.
- صليبا، جمال، المعجم الفلسفي، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975، ج2.

- الصمدي، خالد، القيم الإسلامية في النظومة التربوية، منشورات المنظمة والعلوم الإسلامية والثقافة، الرباط، 2002.

- الطريقي، عبد الله بن إبراهيم وآخرون، الثقافة الإسلامية تخصصا- مادة- وقسما علميا دراسة تنظيرية وتعريفية موجزة، ط1، كلية الشريعة، الرياض، 141هـ.

- عناني، محمد زكريا، شعر ابن مجبر الأندلسي، تح، زكريا عناني، ط1، دار الثقافة، بيروت، 2000.

- الغامدي، ماجد، النزاهة قيم وسلوك، وزارة الثقافة والإعلام، الرياض، 2017.

- عبد الفتاح إسماعيل، القيم السياسية في الإسلام، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة مصر، 2001.

- القرضاوي، يوسف، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، ط1، مكتبة وهبة، مصر، 1995.

- المنجد، محمد الصالح، الإخلاص، ط1، مجموعة زاد للنشر، المملكة العربية السعودية، 2009.

2-الدوريات:

- آل عثمان منال وآخرون، "دراسة تحليلية للقيم في أبحاث الإدارة التربوية الإسلامية" المجلة الدولية التربوية المتخصصة، ع10، منشورات الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2017.

- بالحاج علي سامي، "الأدب والتاريخ"، مجلة أقلام الثقافية، ع2، جامعة تونس، 2017.

- السلمي أحلام عتيق مغلي، "مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها السلوكية من منظور إسلامي"، مجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، ع2، منشورات جامعة جدة المملكة العربية السعودية، 2019.

- الشعوان عبد الرحمان بن محمد، "القيم وطرق تدريسها في الدراسات الاجتماعية"، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، ع9، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1977.

- مرهون رحيم سلوم و خضير مزعل عثمان، "الهداية الإلهية تعريفها، أنواعها، أسبابها، موانعها، ثمرتها"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، ع15، كلية العلوم الإسلامية، جامعة تكريت، العراق، 2013.

3- الندوات:

- شيخة جمعة، "إلى أي مدى يمكن أن نعتبر الشعر الأندلسي مصدر للتاريخ"، ضمن أعمال ندوة حضارة الأندلس في الزمان والمكان، المغرب، من 16 إلى 18 أبريل 1992، منشورات جامعة الحسن الثاني، كلية الأدب والعلوم الإنسانية المحمدية، د.ت.

4- الرسائل الجامعية:

- الرومي، خالد بن عبد الله، "القيم الخلقية في المنظور السلفي"، رسالة ماجستير في الثقافة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1993.

- الشرازي، سارة رطيان، "القيم الاجتماعية المتضمنة في كتب التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية ودرجة اكتساب الطلبة لها من وجهة نظرهم"، رسالة ماجستير في المناهج العامة، جامعة الأردن، 2015.

- فتحي إبراهيم الصوفي سماح، "الأخلاق الإسلامية عند حكام الأندلس وأثرها في بناء الدولة (92- 422هـ /411- 1031م)"، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2015.

- مزوزي، فاطمة الزهراء، "العفة في القرآن الكريم موجباتها مظاهرها وآثارها دراسة في التفسير الموضوعي"، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2013.

الكشافات

01- كشاف الآيات القرآنية

02- كشاف الأحاديث النبوي

01- كشاف الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾	6	الفاتحة	1
﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾	25	البقرة	5
﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾	40	البقرة	7
﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾	83	البقرة	12
﴿وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ﴾	109	البقرة	17
﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	112	البقرة	17
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾	119	البقرة	18
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾	126	البقرة	19
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾	155	البقرة	24
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	172	البقرة	26
﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	177	البقرة	27
﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ﴾	189	البقرة	29
﴿وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ . . .﴾	224	البقرة	35
﴿قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	250	البقرة	41

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾	264	البقرة	44
﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	274	البقرة	46
﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ﴾	282	البقرة	48
﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾	8	آل عمران	50
﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾	39	آل عمران	55
﴿لَن تَنَالُواْ الْبرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾	92	آل عمران	62
﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	171	آل عمران	72
﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾	5	النساء	77
﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾	58	النساء	87
﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾	69	النساء	89
﴿وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾	84	النساء	91
﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾	110	النساء	96
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً﴾	122	النساء	98
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾	7	المائدة	108
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾	8	المائدة	108
﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	13	المائدة	109

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾	42	الأنعام	132
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾	115	الأنعام	149
﴿وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾	147	الأنعام	148
﴿وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى. . .﴾	152	الأنعام	149
﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾	5	الأعراف	151
﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾	29	الأعراف	158
﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾	9	الأنفال	178
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾	15	الأنفال	178
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾	65	الأنفال	185
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾	6	التوبة	187
﴿فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	13	التوبة	488
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	103	التوبة	203
﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾	108	التوبة	204

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾	111	التوبة	244
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	128	التوبة	207
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾	9	يونس	209
﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾	24	يونس	211
﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	26	يونس	212
﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾	64	يونس	216
﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾	3	هود	221
﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾	49	هود	227
﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾	112	هود	234
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	11	الرعد	250
﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾	27	الرعد	252
﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾	27	إبراهيم	259
﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	49	الحجر	264
﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾	85	الحجر	260
﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾	6	النحل	267
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾	90	النحل	277

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	96	النحل	278
﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	125	النحل	281
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾	126	النحل	281
﴿. . .وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا . . .﴾	23	الإسراء	284
﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾	34	الإسراء	285
﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾	35	الإسراء	285
﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	53	الإسراء	287
﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾	74	الإسراء	289
﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾	80	الإسراء	290
﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	7	الكهف	294
﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾	108	الكهف	304
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾	65	مريم	310
﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾	43	طه	314
﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾	27	طه	313
﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾	109	طه	319
﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاء وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾	8	الأنبياء	322
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	107	الأنبياء	331

﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾	36	الحج	336
﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾	14	المؤمنون	324
﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	73	المؤمنون	346
﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	88	المؤمنون	347
﴿وَأَنَّ اللَّه رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾	20	النور	351
﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾	22	النـور	352
﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ. . .﴾	31	النور	353
﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾	88	النور	347
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾	63	الفرقان	365
﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾	67	الفرقان	365
﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾	151	الشعراء	373
﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾	19	النمل	378
﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾	60	النمل	382
﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾	62	النمل	382

﴿فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾	25	القصص	388
﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾	34	القصص	389
﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾	35	القصص	389
﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾	77	القصص	394
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾	69	العنكبوت	404
﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾	6	الروم	405
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	47	الروم	409
﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾	43	الأحزاب	423
﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾	101	الصافات	449
﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾	171	الصافات	452
﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾	26	ص	454
﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾	5	الزمر	489
﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	9	الزمر	459
﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	20	الزمر	461
﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	53	الزمر	464
﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	51	غافر	473

﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾	11	الشورى	484
﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾	15	الشورى	484
﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾	5	الزخرف	489
﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾	89	الزخرف	495
﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	31	الأحقاف	506
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾	30	محمد	510
﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾	2	الفتح	54
﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	4	الفتح	511
﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	9	الحجرات	516
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	13	الحجرات	517
﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	18	ق	519
﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾	26	الذاريات	521
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾	3	النجم	526
﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾	37	النجم	527
﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾	14	الرحمان	531
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾	25	الحديد	54
﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾	9	المجادلة	543
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾	7	الحشر	546

﴿ولَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	10	الحشر	547
﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	2	الصف	551
﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾	11	التغابن	557
﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾	3	الملك	562
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	12	الملك	562
﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾	13	نوح	571
﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾	16	الجن	573
﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾	4	المدثر	575
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾	5	الإنسان	578
﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾	7	الإنسان	579
﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾	12	الإنسان	579
﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾	16	عبس	585
﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾	18-19-20 - 21-22	المطففين	588
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾	5	البينة	598

02- كشاف الأحاديث

الحديث	الصفحة
"إنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَق"	20
"اللَّهمَ إِنِّي أَسْأَلُكَ التُّقَى وَالْهُدَى وَالعَفَافَ والغِنَى"	20
"مَنْ يَسْتَعْفِفْ يَعَفُهُ الله"	21
"ثَلاَثَةٌ حَقَّ عَلَى الله عَوْنُهُم: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله، وَالمُكَاتِب الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاء، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَاف"	23
"الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْر"	25
"إِنَّ الله حَيِّيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُ الْحَيَاءَ"	26
"اِسْتَحْيُوا مِنَ الله حَقَّ الْحَيَاء قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ الله إِنَّا لَنَسْتَحِي وَالْحَمْدُ لله قَالَ: "لَيْسَ ذَاكَ: وَلَكِنَّ الَحَيَاءَ أَنْ تَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى وَتَتَذَكَرَ الَمَوْتَ وَالْبَلَى وَمَن أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اِسْتَحْيَا مِنَ الله حَقَ الْحَيَا"	27
"...وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ"	27
"دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ..."	28
"مَن وجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمُدِ الله وَمَن وَجَدَ غَيرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَ نَفْسَهُ"	32
"يَأْتِي على النَّاسِ زَمَانٌ، الصَّابِرُ فِيهِم عَلَى دِينِه كَالقَابِضِ عَلَى الْجَمْر"	38
"مَن مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَة مَاتَ مِيْتَةً جَاهِلِيَّة"	41
"اذْهَبُوا بِه إِلى فُلاَنَة فَإِنَّهَا كَانَت صَدِيقَةُ خَدِيجَة، اذْهَبُوا بِه إِلى بَيتِ فُلاَنَة فَإِنَّهَا كَانَت تُحِّبُ خَدِيجَة"	42
"وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاة فَيتتَبَعُ بِهَا صَدَائِقُ خَدِيجَة فَيُهْدِيهَا لَهُنَّ"	42
"مَا قَال عَبدٌ لا إله إلا الله قَطُّ مُخْلِصًا إِلاَّ فُتِحَت لَهُ أَبْوابُ السَّمْاء"	43
"إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِم"	43
"هُدِيَ مَن حَسُنَ إِسْلاَمُهُ، وَخَلُصَ إِيمَانُه، وَشعَر قَلبَهُ بِالتَّقْوَى وَتَجَلبَبَ بِجِلْبَابِ الدِّين"	44
"أُوصِيكُم بِتقْوَى الله والسَّمْعَ والطَّاعَة"	29

"وَإِيَاكُم ومُحدَثَاتِ الأُمُور فَإِنَّهَا ضَلاَلَة فَمَن أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنكُم فَعَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِين المَهْدِيين عَضُو عَلَيْهَا بِالنَّواجِذ"	29
"إنَّ الله جَوادٌ يُحِبُ الجُودَ، ويُحِبُ مَعَالِي الأَخْلاَق"	49
"لَو كَان لِي مِثْلُ أُحَد ذَهبًا مَا يَسُرُنِي أَن لاَ يَمُرَ عَليَّ ثَلاَث، وَعِنْدِي منهُ شَيءٌ إلا شَيءٌ أرْصُدُهُ لِدِين"	50
"السَّخَاءُ شَجرةٌ من شَجَرِ الجَنَّة أَغصَانُهَا مُتَدلِيَّةٌ عَلى الأَرْض فَمن أخَذَ مِنْها غُصنًا قَادَهُ ذَلِكَ الغُصنُ إلى الجَنَّة"	51
"إنَّمَا الْكَرَمُ قَلْبُ المُؤْمِن"	52
"ومَن كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِم ضَيفَه"	53
"اصْنَعِ المَعرُوفَ إلى مَن هُو أَهْلُهُ وإلى مَن لَيْسَ بِأَهْلِه فَإن صَادَفَ أَهْلَهُ فَقَد أَصبْتَ، وَإن لَم تُصِب أَهْلَهُ فَأَنْتَ مِن أَهْلِهِ"	54
"مَهْلاً يَا عَائِشَة عَلَيكِ بِالرِّفْق، وَإِيَاكِ والعُنْف أو الفُحْش"	57
"إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُعْطِي عَلى الرِفْق مَالاَ يُعْطِي عَلى العُنْف"	57
"ومَن وليَّ مِن أمْرِ أُمَّتِي شَيئًا فَرَفَقَ بِهِم فَأَرْفِق بِهِ"	57
"مَن أُعْطِي حَظَّهُ فِي الرِّفق فَقَد أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَير"	59
"ألاَ أُخبركُم بِمَن يُحْرُمُ على النَّار أو بِمَن تَحْرَمُ عَليهِ النَّار؟ تَحْرَمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَينٍ لَينٍ سَهْلٍ"	59
"لاَ تُنْزَعُ الرَّحْمَة إلاَّ من شَقِي"	64
"إنَّ المَقْسِطِينَ يومَ القِيَامَة عَلى مَنَابِرَ مِن نُور، عَن يَمِينِ الرَّحْمَان"	65
"سَبْعٌ يُظِلُهُم الله تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَومَ لاَ ظِلَ إلاَ ظِلُه: إِمَامٌ عَادِلٌ..."	65
"أَفضَلُ الجِهَادِ كَلِمَةَ عدلٍ عِنْدَ سُلطَانٍ جَائِرٍ أو أَمِيرٍ جَائِرٍ"	66
"بِرَّ أباكَ وأحْسِن صُحْبَتَه"	67
"البِّرُ حُسنُ الخُلُق"	67
"لاَ يزيدُ في العُمْرِ إلاَّ البِّر..."	68
"أنْ تَعبُدَ الله كَأنكَ تَرَاهُ فَإنْ لَم تَكُن تَرَاهُ فَإنَّهُ يَرَاكَ"	71

"ومَا مِن امْرِئٍ يَنصرُ مُسْلِماً فِي مَوضِعٍ يُنتَقَصُ فِيه عِرضُهُ ويُنتهكُ فيه من حُرْمَتِه إلاَّ نَصرَهُ الله فِي مَوطِنٍ يحبُ نُصْرَتَهُ"	73
"مَا من إمَامٍ يُغلقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الحَاجَةِ والخِلَّةِ والمَسْكَنَة إلاَّ أَغْلَقَ الله أَبْوابَ السَّمَاءَ دُونَ خِلَّتِهِ وحَاجَتِهِ ومَسْكَنَتِهِ"	73
".... وتَسْعَى بِشِدَةِ سَاقَيْكَ إِلَى اللَهْفَانِ المُسْتَغِيثِ، وتَرْفَعُ بِشِدَةٍ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَعِيفِ كُلُ ذَلِكَ مِن أَبْوَابِ الصَدَقَةِ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ ..."	81
"إنَّ لله عِبَادًا خَلَقَهُم لِحَوائِجِ النَّاسِ يَفْزَعَ النَّاسُ إِلِيهِم فِي حَوائِجِهُم أُولَئِكَ الآمِنُونَ يَومَ القِيَامَة"	81
"وَمَا زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إلاَّ عِزًّا"	82
"المُؤمِنُ للمُؤمِن كَالبُنْيَان يَشُدُ بَعْضَهُ بَعْضَا"	83
"مَن أَحَبَّ أَن تَصرُهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيُكْثِر فِيهَا مِنَ الاسْتِغْفَار"	83
"اللَّهُمَ اغفِر لِقَومِي فَإِنَّهُم لاَ يَعْلَمُون"	85
"أُعْطِيتُ الشَفَاعَة وَهِي نَائِلَةٌ مِن أَمَّتِي مَن مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِالله"	85
وَيَوْمَ الْحِسَاب "... يُقَال: يَا مُحَمَّد: اِرْفَع رَأْسَكَ، سَل تُعْطَى وَاشْفَع تُشْفَع، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَب، أُمَّتِي يَا رَب، أُمَّتِي يَا رَب ..."	87
"يَخْرُجُ قَومٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فَيدْخُلُونَ الجَنَّة يُسَمُونَ الجَهَنَّمِيين"	87
"...ويَقولُ القُرْآنَ إِنِّي مَنَعْتُهُ النَّومَ بِاللَّيلِ فَشَفِعْنِي فِيه"	87
"أَلاَّ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَت صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلَّهُ أَلاَّ وَهِي القَلْب"	88
"أَلاَ أُخْبِرُكُم بِأَفْضَلِ مِنَ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا: بَلَى: قَالَ: إِصْلاَحُ ذَاتِ البَيْن هِيَ الحَالِقَة"	89
"إِنَّ الله جَمِيلٌ يَحِبُ الجَمَال"	91
"بَينمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُرِّ المَجَوَّفِ قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبرِيل؟ قَالَ: هَذَا الكَوثَر الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّك"	95
"الطَّهُورُ شَرْطُ الإِيْمَانِ"	97

"إنَّ طَيْبَ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيْحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيْحُهُ"	99
"مَن عُرِضَ عَلَيْهِ طِيْبٌ فَلاَ يَرُدَّهُ فَإِنَّهُ طَيِّبُ الرِّيْحِ خَفِيفُ المَحْمَلِ"	101
"وَلاَ تَطِيبُ أَنْفُسَهُم أَن يَقْعُدُوا بَعْدِي"	101
"أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الله طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ الله أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ"	101
"أَيَّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةُ السَّكِينَةُ فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بِالإِضَاعِ"	102
"إِنِّي لأَعَلِّمُهُم بِالله وَأَشْدُهُم لَهُ خِشْيَةً"	105
"المُؤْمِنُ القَوِيُ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ وَأَحَبُ إِلَى الله مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيف"	108
"يَدُ الله مَعَ الجَمَاعَة"	108
"إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا"	109
"أَحَبُ النَّاسِ إِلَى الله أَنْفَعُهُم لِلنَّاسِ"	116
"إِنَكُم لاَ تَسْعَونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُم وَلَكِّنْ يَسَعَهَم مِنْكُم بَسْطَ الوَجْهِ، وَحُسْنُ الخُلُق"	119
"وَلَو أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْق"	122
"تَبَسَّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَة"	122

فهرس المحتوى

الموضوع **الصفحة**

المقدمة:.....(02-06)

الفصل التمهيدي: القيم بين الأدب والتاريخ

أولاً- مفهوم القيم (في اللغة والاصطلاح).....08

ثانيًا- أدب القيم رافد للكتابة التاريخية.....13

الفصل الأول: قيم التواصل الروحي

أولاً- العفاف والحياء.....17

ثانيًا- الصدق والنزاهة.....23

ثالثًا- الصبر والثبات.....29

رابعًا- الوفاء والإخلاص.....35

خامسًا- الهداية والاستقامة.....40

سادسًا- السخاء والكرم.....45

الفصل الثاني: قيم التواصل الاجتماعي

أولاً- الرفق والرأفة.....52

ثانيًا- العدل والإنصاف.....57

ثالثًا- البر والإحسان.....63

رابعًا- الإنجاد والإجارة.....68

خامسًا- الصفح والغفران.....73

سادسًا- الشفاعة والإصلاح.....79

الفصل الثالث: قيم الكمال الجسماني

أولاً- الأناقة والجمال.....86

ثانيًا- التطهر والتطيب.....91

ثالثًا- الوقار والهيبة.....96

رابعًا- البأس والشجاعة.....99
خامسًا- البلاغة والفصاحة.....104
سادسًا- البشر والتبسم.....108
الخاتمة:.....115
الوراقية:.....117
الكشافات:.....124
فهرس المحتوى:.....137
الملخص:

الملخص:

يتناول هذا الموضوع "**خطاب القيم في الغرب الإسلامي خلال القرن 6-7هـ/12-13م**" تم التعرف في هذا البحث على القيم إنطلاقا من بعدها الأخلاقي وبالنظر إل جميع جوانبها على أنها محصلة المبادئ التي يكتسبها الفرد من مجتمعه إنطلاقا من مرجعيته الدينية الخالصة.

والخطاب القيمي في الغرب الإسلامي عولج من خلال المدونة الأدبية التي تعتبر رافد مهم في الكتابة التاريخية ذالك أنها تسد ثغرة الجانب النفسي للأحداث التاريخية وتنفرد بجزئيات قد لاتكون مهمة في نظر المؤرخ لكنها جد مفيدة لمعرفة حياة الأفراد والمجتمعات، وحسب المضان الأدبية فإن المنظومة القيمية اتسعت في الغرب الإسلامي لتشمل القيم الروحية، والقيم الاجتماعية وقيم الكمال الجسماني الناظمة للسلوك والأخلاق والمؤطرة للفكر.

وضمنت الخاتمة بجموعة من الإستنتاجات أهمها انسجام الرؤية الأدبية للقيم مع الرؤية الشرعية الذي أكد على مصداقية المدونة الأدبية الوسيطية.